تكثيف المعنى في القرآن الكريم

د. حيدر علي نعمة

د. احمد علي نعمة

الجامعة العراقية / كلية الآداب

قسم علوم القرآن

مقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على خاتم الأنبياء وسيِّد المُرسَلين مُحمَّدٍ المبعوث بشيراً ونذيراً ورحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأحبابه ومن سار على هديه ودعا بدعوته إلى يوم الدِّين، وبعدُ..

فقد ٱتَّسمت اللغة العربية بأنها لغة حيَّة، شأنها في ذلك شأن لداتها من اللُّغات السَّاميَّة الأخرى، تتزايد ثروتها اللُّغوية بفعل النَّماء والتطوُّر الحاصلين في حياة المُجتمعات.. وقد عُدَّت العربية – من بين أخدانها من سائر اللُّغات – أوسعَ اللُّغات ثروةً، وأغناها أصول ألفاظ؛ وذلك لما أُتيح لها من ظروف وعوامل ساعدتْ على ٱتِّساع طرائق ٱستعمالها، وزيادة مفرداتها، وتنويع دلالاتها وأساليبها؛ لذا وُصفت بأنها أغزرُ اللُّغات السَّاميَّة مادَّةً، وأكثرُها تنوُّعاً في الأساليب، وأدقُّها في القواعد.

إنَّ التعامل مع العلوم في المجالات كافَّة يُتوقَّع فيه المحدودية والقصور وبُلُوغ غايةٍ قصوى قد يقف عندها ولا يتعدَّاها، هذا أمرٌ واردٌ فيها، ويُمكنُ ٱستساغته وتقبُّله.. إلَّا التعامل مع مسائل الوحي؛ ولا سيِّما القرآن الكريم وتفسيرة والكشف عن دلالاته ومراميه؛ فإنه مُتجدِّد على الدَّوام، لا يعرفُ للحدِّ حدَّاً؛ فلا يعتريه – بلْ لا يُمكنُ أن يعترِيَه ٱلبتَّة – أمرٌ من قبيل بُلُوغ غايةٍ معنوية؛ فهو لا يَخْلَق على كثرة الرَّدِّ، ولا تنقضي عجائبُه!!

إنَّ لظاهرة إيحاء الألفاظ بأكثر من دلالتها الظَّاهرة – تكثيف المعنى – حُضُوراً فاعلاً في النَّصِّ القرآنيِّ وفي القصَّة القرآنية، شكَّلتْ هذه الظَّاهرة قيمةً فنِّيَّة تُشرك المُتلقِّي في تمثُّل الثَّراء المعنويِّ للَّفظ.

وإذا كان الأمرُ كذلك؛ فلنا أن نُلقي بعض الأضواء على بعض مواطن العطاء والسَّعة في لُغتنا المجيدة؛ ولا سيَّما فيما يتَّصل منها بنُصُوص الذِّكْر الحكيم التي اتَّسمت وأعلى معاني الإعجاز، وأبهى حُلل الجمال.. وقد جاء هذا البحث لبيان هذه الظاهرة السخية وتسليط بعض الأضواء على بعض تخومها مترامية الأطراف.

وقد ٱقتضتْ طبيعةُ البحث ومنهجيته أن يقوم على مقدمةٍ وثلاثة مباحث وخاتمةٍ تكتنف أهمَّ النتائج التي توصَّل إليها البحث، يليها ثبتٌ بأهمَّ المصادر والمراجع التي أسهمتْ في رفد البحث وإثرائه بالمادَّة العلمية.

المبحث الأول
بعض آفاق السعة في اللغة العربية والقرآن الكريم

بادئ ذي بدءٍ لا بدَّ من الإقرار بأنَّ اللغة العالية التي آمتازتْ بها نُصُوصُ الذِّكْر الحكيم تُعدُّ عاملاً مهمَّاً منحها القدرة على السخاء والجود بالمعاني المُتنوِّعة، وهبة المفاهيم الجديدة؛ فهي – بلا غرو – المفتاح لدُخُول القارئ والمُفسِّر إلى عالم النصِّ الفسيح، وآستنباط دلالاته، وآستخراج أحكامه وحكمه.

ومن هنا؛ فقد آختار الله ﷻ لكتابه من بين الألسنة اللِّسانَ العربيَّ؛ لتضافر جُملة من العوامل فيها ممَّا تفتقر إليه لداتها من اللُّغات الأُخرى؛ منها أنه المُظهِرُ للمعاني والمقاصد الذِّهنية أتمَّ إظهار؛ فشرُفتْ بذلك اللغة، وعلا شأنها، وبلغتْ من السُّمُوق شأواً لا تدانيها فيه أية لغة أُخرى.. قال أبو الحسن الحرَّالي رحمه الله (ت٦٣٨هـ): «بيان كلٍّ مُبين على قدر إحاطة علمه، فإذا أبان الإنسان عن الكائن؛ أبان بقدر ما يدرك منه، وهو لا يحيط به علماً؛ فلا يصل إلى غاية البلاغة فيه بيانه، وإذا أنبأ عن الماضي؛ فبقدر ما بقي من ناقص علمه به كائناً في ذكره؛ لما لزم الإنسان من نسيانه، وإذا أراد أن ينبئ عن الآتي؛ أعوزه البيان كلُّه، إلَّا ما يُقدِّره أو يُزوِّره.. فبيانه عن الكائن ناقص، وبيانه في الماضي أنقص، وبيانه في الآتي ساقط!!»[1]، ثمَّ أردف بالقول: «بلاغة البيان تعلو على قدر علوِّ المبين، فعلوُّ بيان الله ﷻ على بيان خلقه بقدر علوِّ الله على خلقه»[2]، وقد هدى إلى ذلك ما قاله النَّبيُّ ﷺ فيما رواه التِّرمذيُّ عن أبي سعيد الخدريِّ ﷺ: «فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه»[3].

يقول الإمام الشَّافعيُّ رحمه الله مُبيِّناً لنا بعض مواطن الاتِّساع في لغتنا العربية الفسيحة: «إنَّما خاطب الله ﷻ بكتابه العرب بلسانها على ما تعرف من معانيها، وكان ممَّا تعرف من معانيها آتِّساع لسانها، وأنَّ فطرته أن يخاطب بالشيء منه عامَّاً ظاهراً يُرادُ به العامُّ الظَّاهر، ويستغني بأوَّل هذا منه عن آخره، وعامَّاً ظاهراً يُرادُ به العامُّ ويدخله الخاصُّ؛ فيستدلُّ على هذا ببعض ما خوطب به فيه، وعامَّاً ظاهراً يُرادُ به الخاصُّ، وظاهر يعرف في سياقه أنه يُرادُ به غير ظاهره.. فكلُّ هذا موجودٌ علمه في أوَّل الكلام، أو وسطه، أو آخره.. وتبتدئ الشيء من كلامها يُبيِّن أوَّل لفظها فيه آخره، وتبتدئ الشيء يُبيِّن آخر لفظها منه عن أوَّله.. وتكلَّم بالشيء تعرفه بالمعنى دون الإيضاح باللَّفظ كما تعرف الإشارة، ثمَّ يكون هذا عندها من أعلى كلامها؛ لانفراد أهل علمها به دون أهل جهالتها، وتُسمِّي الشيء الواحد بالأسماء الكثيرة، وتُسمِّي بالاسم الواحد المعاني الكثيرة.. هذه الوجوه التي وصفت آجتماعها في معرفة أهل العلم منها به؛ وإن آختلفت أسباب معرفتها معرفةً واضحة عندها، ومُستنكراً عند غيرها ممّن جهل هذا من لسانها،

وبلسانها نزل الكتاب، وجاءت السُّنَّة.. فتكلُّفُ القول في علمها تكلُّف ما يجهل بعضه، ومن تكلَّف ما جهل، وما لم تثبته معرفته؛ كانت موافقته للصَّواب – إن وافقه من حيث لا يعرفه – غير محمودة، والله أعلم، وكان بخطئه غير معذور إذا ما نطق فيما لا يحيط علمه بالفرق بين الخطأ والصّواب فيه!!»[٤].

وفي السِّياق ذاته يؤكِّد الإمام برهان الدِّين البقاعي رحمه الله ما قرَّره أسلافُه بالقول: «لسانُ العرب أوسعُ الألسن ساحةً، وأعمقها عمقاً، وأغمرُها باحةً، وأرفعُها بناءً، وأفصحُها لفظاً، وأبينها معنىً، وأجلُّها في النُّفوس وقعاً»[٥]، وقال المستشرق الدكتور **(جورج سارتون – G. Sarton)**: «وهب الله اللغة العربية مرونةً جعلتها قادرةً على أن تدوِّن الوحي أحسن تدوين... بجميع دقائق معانيه ولغاته، وأن تُعبِّر عنه بعبارات عليها طلاوة، وفيها متانة»[٦].

كانت تلك بعضُ خصائص لسان العربية التي نزل بها الوحيُ الحكيم في بيانه وإفهامه مُرادَ الله ﷻ لعباده، وهي خصائص منهجية كُلِّيَّة تُكِنُّ تحتها خصائص دقيقة جليلة يقف عليها علماء بيان العربية.. والشَّافعيُّ رحمه الله قد قرَّر – فيما قرَّر– في رسالته الجليلة، وأجمل – بعدما فصَّل في النَّصِّ السَّابق– بالقول: «ولسانُ العرب أوسع الألسنة مذهباً، وأكثرها ألفاظاً، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غيرُ نبيٍّ؛ ولكنَّه لا يذهب منه شيء على عامَّتها حتَّى لا يكون موجوداً فيها من يعرفه»[٧]؛ فانظر قوله: «أوسع الألسنة مذهباً، وأكثرها ألفاظاً»؛ جاعلاً الاتِّساع للمذهب، والكثرة للألفاظ.. فإذا ما كانت الإحاطة بالألفاظ جدَّ عسيرة؛ فكيف تكون الإحاطة بالمعاني والمذاهب المُتَّسعة والمُتشعِّبة؟!! وإذا ما كانت المذاهب مُتَّسعةً ومُتشعِّبة، وهي في بيان البشر، وهم – مهما علا شأوهم في علم اللغة – عاجزون عن الإحاطة، وعن التَّطهُّر من القصور أو الغفلة أو الإبهام في البيان والإفصاح عن المُراد، فكيف يكون الأمر حين يكون البيان بيان الله ﷻ الذي لا تنفد كلماته؟!! ﷻ: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ [سورة الكهف]، وقال ﷻ: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [سورة لقمان].

وبحكم ما تتسم به من ثراءٍ وسعة؛ فقد «أتاحت لنا العربية مرونةً تعبيرية تندرج من أخمص رجل الشّارع إلى مفرق الفيلسوف؛ لما فيها من ثروة هائلة على صعيد المفردات، ووسائل البيان، وضروب البلاغة، وأنواع المجازات والتشبيهات والاستعارات؛ ولما فيها من مرونة على صعيد التراكيب؛ من حيث التقديم والتأخير، والحذف والقصر، والإيجاز والإطناب.. وغير ذلك من مظاهر العراقة والمرونة على مستوى الأصوات، والدَّلالات،

والتَّصريف، وطرائق التَّعبير.. التي تنصبُّ كلُّها دليلاً على الرُّقيِّ الفكري للعرب قبل الإسلام وبعده.. وهو الذي أكسب اللغة العربية طاقةً هائلة على ٱستيعاب المعاني الغزيرة في الكلمات القليلة، ممَّا لا تألفه أية لغة من لُغات العالم»[٨].

وكان من بين أهمِّ تلكم الطَّرائق المُتعدِّدة والوسائل المتنوِّعة التي تعمل على مدِّ اللغة ورفدها بتلك السَّعة المُتمثِّلة – في بعض جوانبها– بفيضٍ مِدْرار من المفردات والمعاني والأساليب، ما سُمِّي بالظَّواهر اللُّغوية أو الدَّلالية؛ كالمشترك اللَّفظيِّ، والتَّضادِّ، والتَّرادف، والتَّعريب، والتقابل الدَّلالي.. فضلاً عن الاستعمال المجازيِّ للألفاظ، وٱنتقال دلالاتها بتخصيص العموم، وتعميم الخصوص، وظواهر ٱختلاف الصِّيَغ والتَّراكيب، وتعاور الألفاظ، والتكرار، والإيجاز والإطناب، والتقديم والتأخير، والاشتقاق، والتَّضمين، والوجوه[٩]... وقضية نموِّ اللغة – على ٱختلاف سُبُلها – من بين أهمِّ القضايا التي أثارت ٱهتمام علماء اللغة قديماً وحديثاً؛ لتماسِّها بالعلاقة بين اللَّفظ ومعناه، أو بين الدَّالِّ والمدلول؛ فعنوا بظواهرها عنايةً فائقة.

هذا، و«تُسهم عناصر مُعقَّدة في تشكيل المعنى عند المُتلقِّي، والملاحظ أنَّ قسماً منها نسبيٌّ يتفاوت ويختلف من إنسانٍ إلى آخر؛ لأنَّ المعنى يختلف باختلاف النَّاس، من حيث الوضوح والغُمُوض... أو ما يحدث من خلاف في تحديد المعنى؛ كما في تحديد مقصد النَّصِّ، وفي تعدُّد المعاني التي يحتملها، أو التَّعدُّد والخلاف في فهم المعاني الجزئية في بعض العبارات التي تُشكِّل النَّصَّ، أو غير ذلك».

وتتنوَّع تلك العناصر التي تُشكِّل المعنى؛ فيتمثَّل جزءٌ منها بأُمور خارجية يُراعيها صاحب الكلام الذي يبتغي هدفاً ما، وهي جملة القرائن المحيطة بالحدث اللُّغوي؛ والتي تعرف بـــ**(المقام)**[١٠]، ويتعلَّق جزءٌ منها بالمتحدِّث؛ وذلك من خلال الصُّورة الصَّوتية التي يُؤدَّى بها الكلام، والتي تُسمَّى بـــ**(الأداء)**.. وهناك ما يتَّصل بالعناصر التي تُشكِّل الكلام؛ فإنَّ هذا الأخير عندما يُجرَّد من معطيات المقام؛ يبقى له معنىً ما تولِّده العناصر التي يتشكَّل منها؛ وهي ما يعرف بـــ**(السِّياق اللُّغوي)**، ويطلق على هذه العناصر السَّابقة جمعياً مُصطلح **(السِّياق)**.

وإذا كان المتلقِّي يتميَّز عن سواه بجبلِّته التي فطره الله ﷻ عليها، وبتكوينه الثقافي؛ فقد يصعب أن يكون معنى الكلام واحداً عند كلِّ الناس.. ولعلَّ الأمر يزداد تعقيداً كلَّما سما الأُسلوب بأدبيَّته، فمن المعروف أنَّ هذا الأُسلوب يعتمد الحذف، والاتِّساع، والفصل، والتقديم والتأخير.. وغير ذلك من ظواهر يلجأ إليها؛ فتتوسَّع وتتلوَّن دائرة الاحتمالات في فهم المعنى المُراد!!

ويبدو أنَّ الأُمور التي أدَّت إلى تعدُّد فهم المعنى وٱحتماليته، وٱنعكست على تحليل اللَّفظة أو العبارة تتمثَّل بـــ«قدرة الكلمة على التَّعبير عن مدلولات مُتعدِّدة إنَّما هي خاصِّيَّة من الخواصِّ

الأساسية للكلام الإنسانيِّ، وإنَّ نظرةً واحدة في أيِّ مُعجمٍ من معجمات اللغة لتعطينا فكرةً عن كثرة وُرُود هذه الظَّاهرة؛ بلْ إنَّ شحنة المعاني التي تحملها بعض الكلمات تدعو إلى الدَّهشة؛ ولا سيَّما تلك الأفعال الكثيرة الشُّيُوع والذُّيُوع؛ مثل: **(يعمل)**، و**(يقوم)**، و**(يضع)**... الخ، وقد تعيش المدلولات القديمة جنباً الى جنب مع المدلولات الجديدة، وهي ظاهرة ينفرد بها المعنى، ولا تشاركه فيها الأصوات، أو القواعد النَّحوية والصَّرفية»[١١].

فالكلمة المفردة في أية لغة لها فائقُ «القدرة على ٱتخاذ دلالات مُتنوِّعة تبعاً للاستعمالات المُختلفة التي تستخدم فيها، وعلى البقاء في اللغة مع هذه الدَّلالات، ومن ثمَّ أداء عشرات من وظائفها بسهولة ويُسر؛ إذ إنَّ خلق معانٍ جديدة لها لا يقضي بالضَّرورة على المعاني السَّابقة؛ فيمكن لكلِّ المعاني التي ٱتَّخذتها أن تبقى حيَّة في اللغة، وحركةُ التَّغيُّرات المعنوية تسير في كلِّ الاتِّجاهات حول المعنى الأساسيّ؛ ولكنَّ كلَّ واحدٍ من المعاني الثانوية يمكن أن يُصبح بدوره مركزاً جديداً للإشعاع المعنويّ»[١٢].

إنَّ تعدُّد المفاهيم التي تدلُّ عليها الكلمة تعني أنَّ لها معنىً مركزياً؛ هو النَّواة، ومعاني هامشيةً ثانوية ٱكتسبتها بفعل دورانها المُتجدِّد في أنساق كلامية مُختلفة؛ حتَّى أضحى المعنى المركزيُّ دائراً في فلك المعاني الثانوية التي لا تفاضُل بينها، وأصبح طريق رفع اللَّبس في الدَّلالة يمرُّ عبر السِّياق اللُّغوي، أو الخطابيِّ، أو مُعاينة المقام الذي يتمثَّل في المُعطيات الخارجية والنَّفسية.. ويتَّضح ذلك خاصَّة عند ٱستعمال المشترك اللَّفظيِّ (polysemie)، وتبعاً لذلك؛ فإنَّ دلالة الكلمة تتعدَّد بتعدُّد السِّياقات وتنوُّعها؛ أي تبعاً لتوزُّعها اللُّغوي.

ومهما يكن من أمرٍ؛ فإنَّ تعيين المدلول الرَّئيسيَّ للَّفظ المجمل أو المُشترك بحاجة إلى مزيد من الوعي اللُّغوي؛ بحيث لا يلزم من تحديد مدلوله النَّواة تعطيل لمطاطيَّة الألفاظ داخل النِّظام اللُّغويِّ التي هي طبيعة كلِّ عناصر اللُّغات التي تنزع نحو التجدُّد والتغيُّر والتكيُّف مع الأوضاع المُستجدَّة؛ وإن كان الغالب من العناصر اللُّغوية هي المفيدة لمدلول واحد نواة[١٣].

كما تتمثَّل الأُمور المُؤدِّية إلى تعدُّد فهم معنى الكلمة اللُّغوية بمعطيات سياقية غائبة؛ مثل غياب المقام، وغياب الأداء، وبمعطيات سياقية حاضرة مُستمدَّة ممَّا يُشكِّل المعنى، كما تتمثَّل بظاهرة الغُمُوض التي تطالعنا أحياناً في عبارات النُّحاة من غير أن يقصدوها، وفي بعض الألفاظ المشكلة؛ كتلك التي وردتْ في القرآن الكريم، والسُّنَّة المطهَّرة على نطاق محدود.. وإذا كان المقامُ عنصراً أساسياً من عناصر المعنى؛ فإنَّ غيابه قد يجعل المعنى الدَّلالي مُحتملاً لغير ما وجه؛ ممَّا يُؤدِّي إلى تعدُّد في فهم المعاني وتحليلها.

ويبدو أنه كلَّما كان وصفُ المقام أكثر تفصيلاً؛ كان المعنى الدَّلاليُّ أكثر وضوحاً؛ لذا فإنَّ غياب المقام يُؤثِّر تأثيراً مباشراً في فهم الكلام؛ فيجعله يحتمل غير ما معنىً[١٤].

ومن هنا، يمكننا وصفُ الجملة القرآنية الفريدة المُعجزة بأنها تراكمية، قائمة على تكثيف المعنى وإيجازه؛ من خلال تأدية أكبر قدر من المعاني بأقل قدر من الألفاظ، مع الوفاء بتلك المعاني، والإحاطة بحيثياتها من جميع الجوانب.. كما يمكن وصفها بأنها متجدِّدة المعاني والدَّلالات أبداً ما بقيت السَّموات والأرض!! وهذا معنى قوله ﷻ: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ [سورة الكهف]، وقوله ﷻ: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [سورة لقمان]!!

إنَّ من دلائل الإعجاز في التعبير القرآنيِّ، أو من دلائل الإعجاز في عبارة القرآن: «تميُّزه عن غيره من الكلام البليغ بكثرة الاحتمالات؛ فإنَّ كلام البشر كلَّما كان أبلغ؛ كان أدلَّ على المطلوب، وأبعد عن الاحتمالات.. في حين إنَّ القرآن بما إنه صوت الغيب المُوجَّه إلى مسامع الدَّهر، يعي كلَّ زمن من أزمنته وكلَّ معنىً من معانيه بقدر ما يكون فيه من مقاييس الفكر وتطوُّرات العلم؛ فمن ثمَّ تجد الإنسان في كلِّ عصر يشعر إذا تلا القرآن أنَّ حقائقه تتجلَّى أكثر ما تتجلَّى في العصر الذي هو فيه؛ فتجد الأعرابيَّ البدائيَّ الذي ما كان يتخيَّل المراصد الجوية، ولا درس شيئاً من الهيئة الكونية إذا تلا قول الله ﷻ: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [سورة يس]؛ فإنه يتصوَّر منه المعاني التي تنطبق على فكره ويتَّسع لها أفقه العلميّ.. كما تجد عالم الفلك الذي يستعين بالآلات المستحدثة المتنوِّعة على مهمَّته العلمية يتصوَّر أنَّ هذه الآيات ما جاءت إلَّا لتحاكيه وتخاطب عقله وعقول نظرائه من العلماء الباحثين!!

ومثل هذه الآيات الكريمة قول الله ﷻ: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [الفرقان]، وقوله ﷻ: ﴿ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا ﴿٥٤﴾ ﴾ [سورة الاعراف]، وقوله ﷻ: ﴿ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ ﴿٥﴾ ﴾ [سورة الزمر]؛ فإنَّك تجد صاحب كلِّ تخصُّصٍ علميٍّ في كلِّ عصر يستخرج من القرآن الحقائق العلمية بحسب ما أوتي من ناصية الحكمة والعلم وأسباب المعرفة والفهم، وفي ضوء ما توصَّل إليه من اكتشاف.. ولا تجد ما يدلُّ على التَّصادم بين نصوص

القرآن ومدلولات العلم؛ وإن ٱختلفتْ أطوارُ العلماء، وتباينتْ مذاهبُهم العلمية، وتصادمت آراؤهم.. فكيف وسع هذا القرآن الدَّهر كلَّه، وجاءت عباراته – مع بلاغتها التي تنحطُّ دونها بلاغة البُلغاء – مُنسجمةً مع أفهام النَّاس المُختلفة باختلاف الأطوار الثقافية؟!!»[١٥].

وقد يتساءل بعضُ الناس: كيف تكون هذه الميزة للتَّعبير القرآنيّ؟!! وكيف يعجز العربُ عن الإتيان بمثله؟!! مع أنه لم يأتِ بجديدٍ من الحروف والكلمات؛ فحُرُوفه هي حروفهم التي أَلِفُوها، وكلماته هي كلماتهم التي عرفوها!! ونرى أنَّ ترك الإجابة هنا للباحث الكبير الدكتور محمد عبد الله درَّاز أحقُّ وأليق؛ إذ أجاب عن مثل هذا التَّساؤل الجوابَ العلميَّ الكافي، وألمَّ به الإلمام الشُّموليَّ الوافي، وردَّ على كلِّ مُستشكلٍ ومُتشكِّكٍ الردَّ الشَّافي في بحثه القيِّم **(النبأ العظيم)** بأنَّ صنعة البيان كصنعة البنيان؛ فالمهندس الماهر لا يأتي بمادَّة جديدة في البنيان؛ ولكن يظهر تفوُّقه بحُسن التَّصميم، وباختيار النَّوع الجيِّد من مادَّة البناء، وترتيبه للغرف والأبهاء حتَّى تتَّسع المساحة الصَّغيرة من الأرض لكثيرٍ من الحَجَر التي لم تكنْ لتتَّسع لها لولا عمارة الهندسة وحسن التَّرتيب، وحتَّى يتخلَّلها الضَّوء والهواء.. إلى غير ذلك من نحو خفَّة السَّقف، ومتانة الأُسُس!! فكذلك يكون التَّفاوت في صنعة البيان: في جودة المعاني، وترتيب الكلمات؛ وإلَّا فالحروف هي الحروف، والكلمات هي الكلمات[١٦]!!

وأضاف تحت عُنوان **(خطاب العامَّة وخطاب الخاصَّة)** ما نصُّه: «وهاتان غايتان أُخريان متباعدتان عند النَّاس.. فلو أنك خاطبت الأذكياء بالواضح المكشوف الذي تخاطب به الأغبياء؛ لنزلتَ بهم إلى مستوىً لا يرضونه لأنفسهم في الخطاب، ولو أنك خاطبت العامَّة باللَّمحة والإشارة التي تخاطب بها الأذكياء؛ لجئتهم من ذلك بما لا تطيقه عقولهم!! فلا غنى لك – إنْ أردتَ أن تعطي كلتا الطَّائفتين حظَّها كاملاً من بيانك – أن تخاطب كلَّ واحدةٍ منها بغير ما تخاطب به الأُخرى؛ كما تخاطب الأطفال بغير ما تخاطب به الرِّجال!! فأما أنَّ جملةً واحدة تلقى إلى العلماء والجهلاء، وإلى الأذكياء والأغبياء، وإلى السُّوقة والمُلُوك؛ فيراها كلٌّ منهم مُقدَّرة على مقياس عقله وعلى وفق حاجته؛ فذلك ما لا تجده على أتمِّه إلَّا في القرآن الكريم!! فهو قرآنٌ واحد يراه البلغاء أوفى كلامٍ بلطائف التعبير، ويراه العامَّة أحسن كلام وأقربه إلى عقولهم، لا يلتوي على أفهامهم، ولا يحتاجون فيه إلى تَرْجُمان وراء وضع اللغة؛ فهو متعة العامَّة والخاصَّة على السَّواء، مُيسَّر لكلِّ من أراد ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾[١٧]»[١٨].

وعقَّب آخر على ما أدلى العلَّامة درَّاز مضيفاً مَعْلماً آخر مهمَّاً؛ ذلك أنَّ هذا التفاوت الذي ذكره الأول تفاوت لا تمكن معه المقارنة؛ فالنَّاس يصنعون من مادَّة التراب أنواع الأوعية الخزفية والآجُرَّ وسائر المصنوعات المألوفة، وهي كلُّها من أنواع الجمادات الميتة.. والله ﷻ

صنع من التُّراب نفسه الإنسان، وجميع عناصر التُّراب موجودة في جسمه، وقد نفخ فيه من روحه؛ فسرَتِ الحياة إلى كلِّ خليَّة من خلاياه، وأودع فيه من الغرائز والطَّبائع والأحاسيس والأفكار ما يُؤهِّله لأنْ يكون خليفته في الأرض، وجعل فيه من عجائب التكوين ما يبهر الباحثين؛ فجسْمُهُ يشتمل على مليارات من الخلايا، ولكلِّ خليَّةٍ وظيفتها ومطالبُها التي هيَّأها الله ﷻ لها!! وهكذا مثل الفارق بين كلام الله الخالق ذي العزَّة والجلال والكمال، وكلام النَّاس المخلوقين ذوي النقص والعجز؛ وإلَّا فالحروف هي الحروف، والكلمات هي الكلمات؛ ولكنْ لكلام الله ﷻ روحٌ تميِّزه ليستْ في كلام الناس، وبسبب هذه الرُّوح كان هذا القرآن سارياً في نفس أيِّ إنسان سريان الرُّوح في الجسم والبدن، والضَّوء في الفضاء والأفق، والماء في اللِّحاء والشَّجر ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ ﴿٥٢﴾﴾ [سورة الشورى]، ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ ﴿٢﴾﴾ [سورة النحل]!!

ويتميَّز القرآن عن سائر الكلام – زيادة على ما تقدَّم – بأنك لا ترى فيه أثراً للسَّأم، ولا تجد فيه ما يشير إلى الملل؛ ولذلك لا تستطيع أن تفاضل بين عبارة منه وأُخرى؛ فهو كنهرٍ من النور، تنبعث من كلِّ حرف منه لمعة نورانية ساطعة.. في حين إنَّ كلام الخلق تظهر فيه من أحدهم جواد البيان تارة، ويترهَّل أُخرى؛ حتَّى إنك لتلمس بوضوحٍ وترى في كلامه الإسفاف الذي لا يقارن ببليغ كلامه.. فهذا ٱمرؤ القيس – من نوابغ شعراء الجاهلية، وصناديدهم، وجهابذتهم، وفرسان بيانهم – تجد له هفوات وكبوات وإخفاقات في شعره، ومثله المتنبِّي – من كبار شعراء المولَّدين – وقل مثل ذلك في جميع الشُّعراء والخطباء والكتَّاب بلا ٱستثناء!!

وقد ترصَّد العرب للقرآن كلَّ مرصد، وأمعنوا النظر في حروفه حرفاً حرفاً؛ علَّهم يجدون في تنقيرهم ما يأملون فيه من ثغرة أو مطعن؛ ولكنهم – على العكس من ذلك تماماً – وجدوا كلَّ جملة منه تبهرهم بتركيب كلماتها، وتناسق حروفها، وتآخي معانيها، وجمال تصويرها، وسعة مدلولاتها، وصلاتها المتواشجة المتلاحمة المتراحمة؛ بحيث لم تبق في نفسٍ خاطرةٌ قطُّ إلَّا وقد ٱستوفتها في التَّركيب والبناء والدَّلالة!!

والناس – وهم المخلوقون، ذوو النقص والكلال والعجز – مهما أُوتوا من ملكة البيان؛ فبيانهم لا يفي بما في نفوسهم من الأفكار والتَّصوُّرات، وملكاتهم لا تسعف ما يرومون الإفصاح عنه من الأغراض والمقاصد؛ فقد تتناسق في نفس أحدهم المعاني الكثيرة؛ فإذا طفق يُترجمها بكلامٍ منطوق، أو يُعبِّر عنها بآخر مكتوب؛ إذا به يُخفق في التعبير؛ وجاء بيانه دون ما يرمي

إليه ويروم من مستوى الإلقاء أو التعبير!! وهذا لأنَّ فنِّيَّة التصوير في الإنسان تكون دائماً وأبداً أقلَّ من عُمق التصوُّر.. وهذا أمرٌ مشترك بين جميع البُلغاء، لا فرق فيه بين العرب وغيرهم!!

روى أحدُهُم أنَّ ٱمرأة أوربيةً لا تتفقَّه العربية أصغتْ إلى خطيب عربيٍّ كانت تتخلَّل خطبته آياتٌ من الذِّكر الحكيم؛ فقصدتْ ذلك الخطيب مُستفهمة عن مدى ما ٱنتابها من شعورٍ قدسيٍّ بكلام كريم من غير جنس كلامه كان يتخلَّل عباراته أثناء الخطبة؛ فأنبأها أنَّ ذلك هو **(القرآن الكريم)** كلام الله ﷻ[١٩]!!

يقول المستشرقُ الإنجليزيُّ **(ألفريد غيوم)** عن العربية: «ويسهُلُ على المرء أن يدرك مدى ٱستيعاب اللغة العربية وٱتِّساعها للتعبير عن جميع المصطلحات العلمية للعالم القديم بكلِّ يُسرٍ وسهولة بوجود التعدُّد في تغيير دلالة ٱستعمال الفعل والاسم»[٢٠].. ومن هنا؛ فقد عدَّ بعضُ اللُّغويين المحدثين تعدُّد مفاهيم اللَّفظ الواحد دليلاً على حيوية اللغة ومرونتها وطواعيتها؛ لأنَّ اللَّفظ أحاديَّ المدلول قد يرهق الجهد الذَّاكريّ[٢١]!!

وفي السِّياق ذاته يقول الدكتور عبد القادر الفاسيُّ: «... وعليه؛ يكون تعدُّد المعاني دليلاً على حيوية اللغة ورواجها.. فكيف يمكن أن ننادي بتركه لفائدة أحادية المعنى؟!! علماً بأنَّ أحادية المعنى لا يمكن أن تقوم إلَّا بتحجير اللغة، والقضاء على حركيَّتها؛ أي: قتلها، وعلماً كذلك بأنَّ المجاز والسِّياق يُعرِّضان اللَّفظ للتوسُّع الدَّائم»[٢٢].

هذا، وإنَّ التغيُّر الدَّلاليَّ (Semantic change) ظاهرة طبيعية يمكن رصدُها بوعيٍ لغويٍّ لحركية النِّظام اللُّغويِّ المرن كواحدة من أهمِّ مظاهر ذلك التعدُّد، تغدو الكلمة معها ذات مفهوم أساسيٍّ جديد، وقد يحدث أن ينزاح هذا المفهوم بدوره؛ ليحلَّ محلَّه مفهومٌ آخر.. وهكذا يستمرُّ التطوُّر الدَّلالي في حركةٍ دائمة دائبة لا متناهية تتميَّز بالبُطء والخفاء.. ويشرح لنا **(بيير جيرو** – Piere Giraud) تلك الآلية بقوله: «يتغيَّر المعنى؛ لأننا نعطي ٱسماً عن عمدٍ لمفهومٍ ما؛ من أجل غايات إدراكية أو تعبيرية.. إننا نُسمِّي الأشياء ويتغيَّر المعنى؛ لأنَّ إحدى المشتركات الثانوية – معنى سياقيٌّ، قيمة تعبيرية، قيمة ٱجتماعية – تنزلق تدريجياً إلى المعنى الأساسيِّ وتحلُّ محلَّه؛ فيتطوَّر المعنى»[٢٣].

على أنَّ تلك التغييرات والتنقُّلات الطَّارئة على خصائص الألفاظ ودلالاتها النيابية لا ينبغي أن تترك أسيرةً لتحكُّم الانتقائية، وتسلُّط خبط العشواء؛ بله غزو الأهواء، وزيغ تأويلات البلهاء، وتخمين المصادفات، أو مرتعاً لتلبية رغبات الأفراد، وتسييس الفئات لها مقابل بعض الفتات.. بلْ لا بدَّ لها من وضوح تامٍّ محكم، وخضوع صارم مستحكم لقوانين لغوية ثابتة، بيِّنة الحدود، واضحة المعالم، ترسم ملامحها، وتحدِّد وظائفها، وتملي واجباتها، وتضع اليد على ما

لها وما عليها؛ فلا تظلِمُ ولا تُظلَم؛ ذلك أنَّ الجوانب التي تدخل ضمن نطاق حرمها وتلوذ، والأحكام التي تنبني عليها وتُشيَّد خطيرة للغاية؛ فلا تحتمل من ذلك الشيء اليسير.. وقد كانت الثانية بحمد الله ﷻ[٢٤].

والفيصلُ في معرفة المُراد من بين تلك المعاني العديدة، وتحديده عند وُرُود الاحتمال المتأرجح بينهما في سياق من سياقات الكلام المُتعدِّدة يمكن أن يكون كثرة الاستعمال.. وقد وردتْ ألفاظ كثيرة في القرآن المجيد ألفى المُفسِّرون أنفسهم إزاءها مضطرِّين لإيعازها إلى معانٍ محتملة؛ بيد أنَّ ذلك لا يحول دون كون بعضها أقرب إلى ذهن السَّامع من بعض؛ لشهرته وتداوله، وكثرة ٱستعماله، في أحد معاني اللَّفظ[٢٥]، وعلى تلك الشَّاكلة يقاس كلُّ ما شاكل ذلك من الأمثلة والشَّواهد التي تحمل بين جوانحها ٱشتراكاً في اللَّفظ وتنوُّعاً في المدلول، وما أكثرها في كتاب ربِّنا ﷻ!! إذ إنَّ واحداً من أسخى منابع العطاء في القرآن المجيد ولغته الثرَّة وأجودها: ٱجتماع المعاني الكثيرة للكلمة الواحدة في اللَّفظ الواحد وفي كلام واحد.. فإذا ورد أكثر من معنىً لغويٍّ صحيح تحتملها الآية بلا تضادٍّ؛ وجب تفسير الآية بها جميعاً[٢٦].

وعلى العموم؛ فإنَّ الكلام إذا كان مفهوماً على ٱتِّساقه على كلام واحد؛ فلا وجه لصرفه إلى كلامين أو أكثر.. كما إنَّ إبقاء اللَّفظ على معناه الشَّائع والمتعارف أولى من إخراجه عنه إلى معانٍ بعيدة؛ بمعنى أولوية تأويل معاني القرآن الكريم التي من شأنها تعدُّد الاحتمالات على المفهوم الظَّاهر من الخطاب دون الخفيِّ الباطن منه؛ حتى يقوم الدَّليل القاطع القاضي بإرادة جميع المعاني، أو الحاكم بمعنىً على خلاف دليله الظَّاهر والمتعارف بين أوساط من نزل القرآن الكريم بلسانهم؛ فيجب التسليم له آنئذ[٢٧].

هذا، وإنَّ دراسة المعنى القائمة على التفاوت الدَّلاليِّ للألفاظ في سياقاتها المُختلفة، والتفريق بين المعنى المُعجميِّ المُتعدِّد، والمعنى السِّياقيِّ المُتوحِّد لتعدُّ خيرَ دليل على تكثيف المعنى الذي الذي لم يقتصرْ على العربية وحدها، بلْ شمل معظم اللُّغات[٢٨]، وقد بيَّن لنا الراغب الأصفهانيُّ رحمه الله في **(مقدِّمة التفسير)** بأنَّ الأصل في الألفاظ والتراكيب أن تكون مُختلفةً بحسب ٱختلاف المعاني التي يُرادُ لها تأديتها؛ ولكنَّ ذلك لم يكنْ في الإمكان؛ إذ المعاني بلا نهاية، والألفاظ – مع ٱختلاف تراكيبها – ذاتُ نهاية، وغيرُ المتناهي لا يحويه المتناهي؛ فلم يكنْ من بُدٍّ من وقوع ٱشتراكٍ وتكثيفٍ وتراكمية في الألفاظ[٢٩].

وإنْ نحن أنعمنا النظر وأجلْناه في كلام الإمام الراغب أعلاه؛ لخبُرنا – من أوَّل وهلة – أنه قد وضع يده على أهمِّ العوامل المؤدِّية إلى نشوء ظاهرة توسعة الدلالة بتكثيف المعنى وتراكمه مع الاقتصاد في اللَّفظ وإيجازه وقلَّة بنيته؛ إذ إنَّ الألفاظ متناهية؛ بسبب تركُّبها من

الحروف المتناهية، والمعاني لا نهاية لها[٣٠]!! كيف لا وعالمنا لا يتوقف أبداً عن الصِّناعات والاكتشافات ممَّا علَّمه الله ﷻ.. فمن أين لنا – والحال تلك، لولا تلك الظَّواهر اللُّغوية الخلَّاقة المُقتدرة – بألفاظ – وهي محدودة ولو كثرت – لتلك الأعيان والآلات المصنَّعة والمكتشفة[٣١]؟!! ولنا في كلام الله ﷻ دليلٌ بيِّنٌ يُسعفنا، ويُثبتُ لنا بالدَّليل القطعيِّ الملموس صدق دعوى الراغب رحمه الله.. يقول ﷻ: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ [سورة الكهف]، ويقول ﷻ: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [سورة لقمان].

ومن هنا ندرك يقيناً بأنَّ التغيُّر إنما يطرأ على المعنى دون اللَّفظ، فلو كان للَّفظ ٱرتباط طبيعيٌّ ثابت بدلالته؛ لما وسع اللغة أن تتميَّز بطابعها الاجتماعيِّ؛ حيث تماشي المجتمع في تطوُّراته النفسية والعلمية[٣٢].

وممَّا لا ينبغي أن يعزب عن بال الباحثين في علم القرآن واللغة أنَّ «الكلام الذي يمكن أن يدلَّ على معنيين فأكثر معاً في وقت واحد مع عدم التَّضادِّ بينها، ولا دليل يدلُّ على صرف الكلام عن أحدها، ويُبيِّن أنه غيرُ مُراد؛ فإنَّ المعاني تكون مُرادة معاً، ويُحمَل الكلام عليها معاً... وهو من الفنون البلاغية العالية القائمة على الإيجاز، والتي فيها عطاء فكريٌّ ثرٌّ، وإمتاع للأذكياء، وفيه ٱستغناء عن ذكر اللَّفظ مُراداً به بعض ما له من معانٍ بقرينة، ثمَّ ذكرُه مُراداً به بعضٌ آخر بقرينة أُخرى.. فذكره مرَّةً واحدة مُراداً بها جُملة المعاني التي يدلُّ عليها أوسعُ لدلالته، وأعمُّ لفائدته، وأثرى لمعانيه.

إنَّ الكلمات، أو الجمل القرآنية قد تكون ذوات أكثر من دلالة، وإنَّ بعض هذه النصوص صالحة لأنْ توحي بأكثر من معنىً، وإنه لا داعي لصرف النصِّ عن أحدها وقصره على واحدٍ منها دون غيره؛ لما في ذلك من تحكُّمٍ يأباه العقل، وتأباه اللغة، وتأباه الأساليب البيانية الرَّفيعة.

إنَّ من الأمثل والأفضل في تدبُّر كلام الله ﷻ حمل النصِّ على كلِّ المعاني التي يُؤيِّدها الواقع، أو العقل؛ تمشِّياً مع عطاء القرآن الثرِّ الذي لا تنضب معانيه، ولا تفنى عجائبُه.. وتلك هي طبيعة النصوص الرَّفيعة التي تشتمل على دلالات كلية دُستورية؛ كنصُوص القرآن المجيد، وكثير من أقوال النبيِّ ﷺ... إنَّ هذا من عناصر الإيجاز القرآنيِّ، ومن دلائل الإعجاز البلاغيِّ فيه؛ ولا سيَّما إذا كان الموضوعُ من الفكريات العامَّة التي لا تتضمَّن أحكاماً شرعية محدودة بحُدُود لا مُرُونة فيها!!»[٣٣].

ولا بدَّ لنا هنا من التنويه بأنَّ «توسعة اللغة لا بالمُرادفات؛ بلْ بالمفردات التي تعطي كلُّ كلمة منها معنىً خاصًّاً، أو صورة خاصَّة، أو تشير إلى مسمًّىً خاصّ»[٣٤].

المبحث الثاني
أمثلة تحليلية لظاهرة (تكثيف المعنى) في القرآن الكريم

وأمثلة تكثيف المعنى وتراكمه بتوسيع معناه عبر الإيجاز والاقتصاد في ألفاظه في اللغة العربية عموماً، وفي القرآن المجيد على وجه الخصوص كثيرة جدًّاً لا طاقة لأحد بعدِّها وٱستقصائها؛ فهي ذاتُ مظاهر مُتعدِّدة، وغاية ما قام به المُختصُّون بهذا الشأن هو الدَّوران في فلكها، والاغتراف من معينها.. وقد طالعنا ثلَّة من علماء اللغة والبيان والتفسير والأُصُول القدامى منهم والمحدثين، وفصَّلوا القول، وٱستقصوا الآراء والأقوال والاحتمالات في طائفة من الأمثلة الوافية التي رسمتْ لنا الملامح واضحةً، وحدَّدت الأطر مُبيِّنة لتلك الظَّاهرة التي شغلتْ من لُغتنا الحيَّة وكتابها الأكبر حيِّزاً كبيراً، وٱحتلَّتْ مساحةً واسعة.. وفيما يأتي عيِّناتٌ من تلك الأمثلة الكثيرة والنُّصُوص الوفيرة:

- **(الرقي أو الرقية):** قال ﷻ: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٖ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة القيامة]؛ من الرُّقية؛ وهي العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة.. وقيل: المعنى: من يرقى بروحه ويصعد بها؟!! أملائكة الرَّحمة، أم ملائكة العذاب؟!![٣٥].
- **(السُّكر والتَّسكير):** قال ﷻ: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٞ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾ [سورة الحجر]؛ أي: حُبستْ عن النظر، ومُنعتْ منه، وقيل: غُطِّيتْ وسُدَّتْ، وقيل: سُحرتْ، وقيل: تحيَّرتْ وسكنتْ عن النَّظر!! وقوله ﷻ: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ﴾ [سورة الحج]؛ أي: تراهم سُكارى داهشين مُختلِّي العقول؛ لشدَّة الهول، وما هم بسكارى من الشَّراب؛ فـ(**سُكارى**) الأُولى: ما يعتريهم من الهول والذُّهُول؛ لما يرون من الخوف والفزع والعذاب الأليم.. و(**سُكارى**) الثانية: السُّكر الذي يعرفونه؛ وهو ما يلحق السَّكران؛ لشدَّة الطَّرب وتزايد السُّرور[٣٦]!!
- ألفاظ: **(الخاسئ والحسير والغابر):** يقول ٱبن حبنكة الميداني رحمه الله في معرض سبره لبعض دلالات قوله ﷻ: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ

﴿ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٞ ﴾ [سورة الملك]: بحثتُ في كلمتي **(خاسئ)**، و**(حسير)** من هذا النصِّ؛ فوجدتُ ما يلي:

- **خاسئ**: يأتي في اللغة بمعنيين: **الأوَّل: مُتحيِّر**، وهذا المعنى يصلح لكلِّ باحث؛ ولو لم يكنْ من أهل الإنكار للرَّبِّ الخالق ﷻ.. فالمتفكِّر في خلق السَّموات وإن كان مؤمناً منصفاً سيرجع بعد تكرير النظر مُتحيِّراً من عظمة خلق الله لها.. **والثاني: مطرود ذليل**؛ إذ يقال في اللغة: كلبٌ خاسئ؛ أي: مطرود ذليل.. وهذا المعنى يُناسب الجاحد الكافر، الباحث عمَّا يتَّخذه مُستنداً لجُحُوده.
- **حسير**: يأتي في اللغة بمعنيين أيضاً: **الأوَّل: كالٌّ منقطع**، وهذا المعنى يصلح لكلِّ باحث؛ ولو لم يكنْ من أهل الإنكار للرَّبِّ الخالق ﷻ؛ لأنَّ المتفكِّر في السَّموات السَّبع لا بدَّ أن يرجع كالَّاً منقطعاً مهما كان عنده من الوسائل.. وأنَّى له أن يُحيط بأبعادها السَّحيقة التي تمتدُّ إلى مليارات السِّنين الضَّوئية؟!! **الثَّاني: خائب المسعى، مُتلهِّف على ما فاته ممَّا كان يأمله ويرجوه**، وهذا المعنى يُناسب الجاحد الكافر، الباحث عمَّا يتَّخذه مُستنداً لإنكار وُجُود الرَّبِّ الخالق ﷻ.

وبعد النَّظر اللُّغويِّ في لفظتي **(خاسئ)**، **و(حسير)**، وٱستبانة أنَّ كلَّاً منهما له معنيان، يزاوج كلٌّ منهما أحد معنيي اللَّفظ الآخر ويتلاءم معه، وبعد النَّظر إلى واقع حال النَّاس؛ نلاحظ أنَّ فريقاً منهم ينطبق عليه متزاوجان من معنييهما، وأنَّ فريقاً آخر منهم ينطبق عليه المتزاوجان الآخران.. يتَّضح لنا بجلاء أنَّ ٱختيار هاتين اللَّفظتين في هذا النصِّ بالذَّات قد كان مقصوداً للدَّلالة على معنيين، أحدهما يلائم فريقاً من الناس، والآخر يلائم الفريق الآخر منهم.

وهذا من روائع البيان القرآنيِّ العجيب الثرِّ المعجز، مع الإيجاز البديع.. ونفهم النصَّ إذاً على الوجه التالي: فارجع البصر أيها الناظر أياً كنت في خلق السَّموات السَّبع الطِّباق، فهل ترى في خلق الرَّحمن بعد البحث والتفكُّر من خلل وٱضطراب وشقوق وتصدُّعات وثغرات؟!! إنك إما أن ترجع حيران كالَّاً منقطعاً، وإما أن ترجع ذليلاً خائب المسعى.. وأمرُك يكون بحسب حالك إنصافاً وجُحُوداً»[٣٧].

ولا يبعد الأمرُ عنده في السَّبر والتدبُّر كثيراً عمَّا ورد في قوله ﷻ: ﴿ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطٗاۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ۝٣٢ وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ۝٣٣ ﴾ [سورة العنكبوت]؛ إذ يقول رحمه الله: «كلمة **(الغابر)** تأتي في اللغة بمعنيين: **الأوَّل: الماكث**

الذي لا يتحوَّل.. والثاني: الذَّاهب، الماضي[٣٨]، وفي هذا النصِّ نقول: إنَّ الكلمة صالحةٌ لأنْ تستعمل في معنييها اللُّغويين معاً من دون أيِّ تضادٍّ؛ بلْ في حمله على المعنيين معاً تكاملٌ في الأداء البيانيِّ؛ وذلك لأنَّ ٱمرأة لوطٍ مكثتْ في أرض قومها مع قومها؛ فلم تسرْ مع زوجها لوط عليه السلام وأهله؛ إذ أصرَّتْ على كفرها والانتصار لفسق قومها وفجورهم؛ فنزل بها العذاب؛ فكانتْ من الهالكين الذَّاهبين الماضين مع الزمن الماضي من الحياة كلِّها إلى الفناء.. في حين بقي الناجون حتَّى جاءت آجالهم تباعاً.. فحملُ اللَّفظ هنا على معنييه معاً هو الأولى بالتدبُّر؛ إثراءً لدلالة النصِّ، ولا تعارُض بين المعنيين؛ بلْ يُكمِّل كلٌّ منهما دلالة الآخر.. والواقع يُؤيِّد ذلك»[٣٩].

❖ **(حِلّ)**: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢﴾ [سورة البلد]، الرأيُ الأشهر في دلالة لفظة ﴿حِلُّۢ﴾ أنه الحالُّ والمقيم؛ بمعنى: وأنت حالٌّ في هذا البلد تبلِّغ دعوة ربِّك، وتلقى من الأذى ما تلقى.. وإذا كان هذا هو المعنى، فلماذا لم تأت كلمة **(حالّ)** بدلاً من ﴿حِلُّۢ﴾؟!! والجواب بحسب ما نتملَّاه ممَّا تمليه علينا هذه الظَّاهرة الجليلة **(تكثيف المعنى)** هو ما أُريد لتلك اللَّفظة من ضمِّ معانٍ أُخرى إلى دلالتها المتبادرة للذِّهن، ثمَّ الوقوف عن تلك المعاني على مسافاتٍ مُتساوية، وإرادتها جميعاً في صيغةٍ واحدة تتَّسع لها جميعاً؛ إيجازاً وإعجازاً.. إذ تأتي أيضاً بمعنى ٱسم المفعول؛ أي: بمعنى **(مُستَحَلّ)** على صيغة وزنٍ من أوزانه، وحينها يكون معنى الآية الكريمة: «لا أقسم بهذا البلد؛ وأنت مُستَحَلٌّ قتلُك، لا تراعى حرمتك في بلدٍ آمنٍ يأمن فيه الطَّير والوحش»[٤٠]!!

وتأتي ﴿حِلُّۢ﴾ بمعنى: **(حلال)**؛ أي إنك في حلٍّ أن تقتل مَنْ تشاء وتأسر مَنْ تشاء في هذا البلد؛ وذلك يوم الفتح؛ لأنَّ أهله قد جاءوا بما تُستحلُّ به حرمتهم؛ فرفعتْ عنهم؛ وغدوا حلَّاً للقتل والسَّبي والتشريد والفتك والإبادة ونحوه[٤١]!! وقيل: المعنى: «وأنت حلٌّ بهذا البلد ممَّا يقترفه أهلُه من المآثم، مُتحرِّجٌ بريءٌ منها»[٤٢]؛ كما تقول: «**أنا في حِلٍّ من هذا الأمر!!**»، وهو كقوله ﷻ: ﴿وَمَا جَعَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ۝١٠٧﴾ [سورة الانعام]، وقوله ﷻ: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ ۝٤٨﴾ [سورة الشورى].

ولا يفوتُ الأُستاذ الميدانيَّ أن يضع بصمته، ويُثبت تعليقه، ويُدلي دلوه فيما خرجتْ إليها تلك اللَّفظةُ الحكيمة ضمن الآية الكريمة، والآية الكريمة ضمن التركيب المُحكم والسِّياق المُعجز من إيحاءاتٍ ومعانٍ؛ إذ يقول رحمه الله: «لكنَّ المقصودين بتوجيه القسم قد ٱستباحوا رسول الله محمداً ﷺ في هذا البلد الحرام الذي يُعظِّمونه، ويرون حرمة العدوان فيه على أحدٍ من النَّاس، أو

على حيوان برِّيٍّ أو شجرة نابتة فيه؛ فجعلوا رسول الله ﷺ لهم حِلَّاً: يؤذونه، ويضطهدونه، ويسُبُّونه، ويُكذِّبونه؛ وهو الصَّادق الأمين فيهم طوال حياته، ويتَّهمونه بأنه ساحرٌ، أو شاعر، أو مجنون، ويضطهدون مَنْ آمن به، ويُعذِّبونهم إلى حدِّ القتل.. حتَّى أمسى رسول الله ﷺ فيهم غرضاً يرمون إليه سهامهم هو ومَنْ آمن به!! فهم بعملهم هذا قد ٱستهانوا بحُرْمة بلد الله الحرام؛ إذ جعلوا رسول ربِّهم فيه حِلَّاً لهم؛ أي: غرضاً يرمون سهامهم إليه، ويرومون إصابته!!»[٤٣].

ويقول أُستاذنا الدكتور فاضل صالح السامرائي بعدما عرض لجملة الآراء السابقة، وتناولها بشيءٍ من التمحيص والتحليل، ووازن بينها: «وهذه المعاني كلُّها مُرادة مطلوبة؛ فهو حالٌّ بهذا البلد الكريم يُبلِّغ رسالة ربِّه، مُتحرِّجٌ من آثامهم، بريءٌ من أفعال الجاهلية، وقد ٱستُحلَّتْ حرمتُه، وأُريد قتلُه في حين حُلُوله به وتبليغ دعوة ربِّه.. وإنَّه حِلٌّ لهذا الرَّسول أن يقتل ويأسر في هذا البلد يوم الفتح ما لا يحلُّ لغيره، وهذا على الاستقبال، وعلى الوعد بنصره!! فانظرْ كيف جمعت كلمة ﴿حِلٌّ﴾ هذه المعاني المُتعدِّدة بخلاف ما لو قال: **(حالٌّ)**، أو **(مُقيم)**، أو **(حلال)**، أو ما إلى ذلك ممَّا يقصر الكلام على معنىً واحد؛ فإنها جمعت ٱسمَ الفاعل – وهو الحالُّ – وٱسمَ المفعول – وهو المُستحلُّ – والمصدر – وهو الحلال – !! فانظر أيَّ ٱتِّساع في المعنى؟!!»[٤٤] هذا، وأيَّ تكثيفٍ له، وأيَّ تراكم!!

❖ **(العَرْف)**: قال السَّمينُ الحلبيُّ رحمه الله في المعاني والدَّلالات التي تخرج إليها لفظة ﴿عَرَّفَهَا﴾ في قوله ﷻ: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝٦﴾ [سورة محمد]: «أي: طيَّبها، من العَرْف؛ وهو الطِّيب، وتقول العرب: طيَّب الله عَرْفَك؛ أي: رائحتك.. **وقيل:** عرَّفها لهم في الدُّنيا بوَصْفٍ وصفها لهم، فإذا دخلوها؛ عرفوها بتلك الأوصاف الحسنة؛ بمعنى: ألهم كلَّ أحدٍ أن يعرف منزله في الجنَّة كما يعرف منزله في الدُّنيا مع ٱتِّساع تلك المنازل وكثرتها.. وإذا ألهم الطُّيور أن تهتدي لأوكارها في الدُّنيا مع كثرة أوكارها، وأشباهها، وتقاصُر فهمها؛ فهذا أولى؛ فقيل: إنه يُبعث مع كلِّ رجلٍ مَلَكٌ يُعرِّفه منزله.. **وقيل:** عرَّفها: زيَّنها.. **وقيل:** شوَّقهم إليها بوصفه لها وتعريفه إيَّاها»[٤٥]، وقُرئت الآية الكريمة: ﴿**عَرَّفَهَا لَهُمْ**﴾ بتخفيف الرَّاء؛ من قولهم: «**لأعرفنَّ لك ما صنعت**»؛ أي: لأُجازينَّك وأُكافئنَّك عليه!! ولعلَّ الضَّمير في ﴿عَرَّفَهَا﴾ يعود إلى الأعمال المذكورة في قوله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ ۝٤﴾ [سورة محمد]؛ أي: جازاهم عليها هذا الجزاء[٤٦].

وهكذا؛ فالدَّلالةُ تكون مُكثَّفةً، مُتراكمةً، قابلةً للاتِّساع كلَّما كان اللَّفظ في التَّركيب عاماً، وكانت العلَّة فيه مُختفيةً، غيرَ معروفة؛ وذلك أنَّ الارتباط الجامع بين الدَّالِّ ومدلوله كان عن طريق علَّةٍ جوهرية خفيَّة هي التي منحت لهذا الارتباط مُرُونته وكثافته وٱتِّساعه، وأحدثتْ كلَّ هذا الامتداد المقصود في المجال الدَّلالي للَّفظ، «فيجب على العلَّة أن تختفي إذاً لمصلحة المعنى.. أما إذا حدث العكسُ؛ فإنها ستقلِّص المعنى»[٤٧].

على أنَّ هذا التكثيف في المعنى أو ذاك التَّوسُّع في دلالات المفردات والتراكيب القرآنية المجيدة ليس كما يتبادر إلى الذِّهن لأوَّل وهلةٍ من أنه عدم وُضُوح في المعنى، أو أنه غموض في الدَّلالة؛ بل هو على العكس من ذلك تماماً؛ لأنَّ العبارة كلَّما كانت أغزر معنىً، وأعمق دلالةً؛ كانت مكمن إيحاءٍ، ومبعث جمالٍ؛ ولا سيَّما إذا كانت هذه السَّعة في المعاني راجعةً إلى صورة كلية مؤكَّدة من جوانب شتَّى يُعضِّد بعضُها بعضاً لرسم مشهدٍ تصويريٍّ في أداءٍ فنيٍّ رائع[٤٨].

وهكذا؛ فإنَّ هناك العديد من الألفاظ القرآنية الكلية التي تشكِّل أغطية شفيفة تضمُّ تحتها العديد من الدَّلالات، بناءً على مجالاتها الإجرائية النظرية، مُشكِّلةً بدورها حقولاً دلاليةً ثرَّة.. وليس بالضَّرورة دائماً – لفهم مدلولات تلك الألفاظ – أن نحدِّد حقول الأدلَّة على نحوٍ دقيق؛ بلْ – على العكس من ذلك تماماً– يعدُّ إبقاء حكم العُمُوم، وإطلاق تعدُّد الاحتمالات عليها ضرورةً لُغوية مُلِحَّة ترسم لعالم اللغة القرآنية الفسيح إطاراً واسعاً ومقصوداً للتعامل مع حقيقة هذا المُصطلح أو ذاك؛ وذلك من أجل ٱستنباط أكبر قدرٍ مُمكن من المعاني الواردة التي يحتملها النصُّ الكريم، والإفادة منها جميعاً[٤٩].

إذا ما ألممنا بكلِّ ذلك علماً وأحطنا فهماً؛ فلا يجدُرُ أن يعزب عن بالنا، ولا يليق أن يندَّ عن فكرنا أنَّ ظاهرة التكثيف في المعنى تعدَّ ظاهرة حاضرة في العديد من ألفاظ القرآن المجيد الذي يحفل بها في كثير من الآيات الكريمات ومُختلف المواطن والمُناسبات.. وإذا ما أردنا أن نحدِّد على وجه الدِّقة والإيجاز مفهوم التكثيف؛ يمكننا القول بأنَّ «القرآن الكريم يستثمر دائماً برفق أقلَّ ما يُمكنُ من اللَّفظ في توليد أكثر ما يُمكنُ من المعاني.. أجلْ؛ تلك ظاهرة بارزة فيه كلِّه؛ يستوي فيها مواضع إجماله التي يُسمِّيها الناس مقام الإيجاز، ومواضع تفصيله التي يُسمُّونها مقام الإطناب؛ ولذلك نسمِّيه إيجازاً كلَّه؛ لأننا نراه في كلا المقامين لا يجوز سبيل القصد، ولا يميل إلى الإسراف ميلاً ما، ونرى أنَّ مراميه في كلا المقامين لا يُمكنُ تأديتها كاملة العناصر والحُليِّ بأقلِّ من ألفاظه، ولا بما يُساويها؛ فليس فيه كلمة إلَّا هي مفتاحٌ لفائدةٍ جليلة، وليس فيه حرف إلَّا جاء لمعنى»[٥٠].

❖ هذا، وتعدُّ نيابة الألفاظ عن المصادر باباً جليلاً من أبواب التكثيف والتوسُّع في معاني التراكيب العربية والقرآنية، وهي متباينة في أغراضها ومتنوِّعة في إفادتها المعاني.. ومن هذا الباب: وقوع المصدر صريحاً؛ ولكنه يعدُّ نائباً من حيث أنه ليس للفعل المذكور؛ بلْ هو لفعل آخر يُشاكله في الاشتقاق، ويُفارقه في الصِّيغة وعدد الحروف، ومن ذلك: قولُه ﷻ: ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ﴿٨﴾ ﴾ [سورة المزمل]؛ فـ﴿ تَبۡتِيلٗا ﴾ ليس هو مصدر الفعل المذكور؛ لأنَّ مصدر **(بتَّل تبتُّلاً)**؛ كـ**(التعلُّم والتفهُّم)**؛ ولكن جاء على **(التفعيل)** مصدر **(تفعَّل)** لسرٍّ لطيف؛ فإنَّ في هذا الفعل إيذاناً بالتدريج والتكلُّف والتعمُّل والتكثُّر والمُبالغة؛ فأتى بالفعل الدَّالِّ على أحدهما، وبالمصدر الدَّالِّ على الآخر؛ فكأنه قيل: «**بتِّل نفسك إلى الله تبتيلاً، وتبتَّل إليه تبتُّلاً**»؛ ففُهِمَ المعنيان من الفعل ومصدره، وهذا كثيرٌ في القرآن الكريم، وهو من أبهى ألوان التكثيف، وأحسن فنون الإعْجاز ومظانِّ الاختصار والإيجاز[٥١]!!

ومن ذلك أيضاً: قوله ﷻ: ﴿ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [سورة المزمل]؛ فمصدر الفعل **(أمطر)** هو **(إمطار)**؛ ولكن وقع ﴿ مَّطَرٗاۖ ﴾ موقعه؛ لأنَّ المعنى المقصود لم يكنْ تأكيد الإمطار فحسب؛ بلْ للإشارة إلى أنَّ هذا المطر كان من نوعٍ عجيب لا نظير له في الشِّدَّة والبأس، وليس هو المطر المعروف[٥٢]، بخلاف ما لو وقع المصدر على أصله؛ فإنه لا يدلُّ حينها سوى على الكثرة والتأكيد من دون أية إشارة إلى نوع مطرٍ مخصوص.. ولعلَّ هذا مرتبطٌ بآيات تدلُّ عليه؛ نحو قوله ﷻ: ﴿ فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ ﴾ [سورة الحجر]؛ إذ إنها تدلُّ على نوع المطر هنا[٥٣].

وممَّا تتميَّز به نيابة المصادر عن المشتقات في اللغة: ٱحتمال تأويل المصدر النائب بأكثر من مُشتقٍّ؛ ممَّا يمنح البنية مُبالغة وإيجازاً؛ وذاك لقلَّة اللَّفظ وسعة المعنى؛ فإنَّ تلك الاحتمالات قد تكون مقصودة كلُّها، وقد دلَّ عليها المصدر وحده.. ومن ذلك: ما جاء في كتاب الله قوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ ﴿١٩﴾ ﴾ [سورة النساء]؛ فـ﴿ كَرۡهٗا ﴾ مصدر واقع موقع الحال، وهو يحتمل تأويلاً باسم الفاعل **(كارِهَات)**؛ على معنى أنهنَّ كارهات ذلك.. أو باسم المفعول **(مُكرَهَات)**؛ على معنى أنهنَّ مُكرَهَاتٌ عليه؛ وذلك إذا كان حالاً من المفعول به ﴿ ٱلنِّسَآءَ ﴾؛ لصحَّة المعنى في أن يكنَّ فاعلات في الكره؛ بمعنى أنه صادر عنهنَّ، وفي أن يكون الكره واقعاً عليهنَّ، وكلا التأويلين صحيح ومُراد.. وكذلك يحتمل التأويل باسم الفاعل **(مُكرِهين)** إذا كان حالاً من ضمير الفاعلين، على معنى: «ولا يحلُّ لكم أن ترثوا

النِّساء حال كونكم مُكرِهين لهنَّ على ذلك»، وهو بمنزلة المعنى في قوله ﷻ: ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴿٣٣﴾ ﴾[سورة النور]؛ وبذلك تكون فائدة وقوع المصدر هنا هي التكثيف والتوسُّع والمبالغة والإيجاز من حيث احتماله تلك التأويلات بلفظٍ واحد ومعنىً كثير(٥٤).

وقد يتَّسع المجال الدَّلاليُّ الذي يوجده النظام اللُّغويُّ من خلال تجريد الضَّمير من خاصِّيَّة تعويضه باسمٍ يعود عليه، والتمهيد لترسيخ مبدأ الإحالات المُتعدِّدة؛ كما في قوله ﷻ: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴿٥٣﴾ ﴾ [سورة فصلت]؛ إذ تتعدَّد الإحالات في الضَّمير **(الهاء)** المتصل بـ**(أنَّ)** المؤكِّدة، قال الإمام البيضاويُّ رحمه الله بأنَّ الضَّمير في ﴿ **أَنَّهُ** ﴾ للقرآن الكريم، أو الرَّسول الأمين ﷺ، أو التوحيد، أو الله ﷻ(٥٥).. وبذا وجدنا أنَّ إمكانية عود الضَّمير على أربع مرجعيَّات يحتملها السِّياق التركيبيُّ الذي جاء – عن قصدٍ – مُطلقاً غيرَ مقيَّد بدلالات مُحدَّدة؛ توسُّعاً في المعنى، وتكثيفاً له، وبسطاً في أُفقه الدَّلاليِّ مع الآفاق المرئية.. فالرُّؤية مفتوحة، والآيات مُتنوِّعة وشاملة للآفاق والأنفس؛ فهي لا تحدَّد عائديةً مُعيَّنة بذاتها للضَّمير الغائب الذي أُريد له أن يشمل كلَّ المرجعيَّات المُحتملة(٥٦).

ومثله تماماً ما جاء في قوله ﷻ: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴿١٠﴾ ﴾ [سورة فاطر]؛ إذ «يحتمل عَوْدُ ضمير الفاعل في ﴿ **يَرْفَعُهُۥ** ﴾ إلى ما عاد عليه ضمير ﴿ **إِلَيْهِ** ﴾؛ وهو الله ﷻ؛ فهو الذي يرفع العملَ الصَّالح ويتقبَّله ويثيب عليه.. ويُحتمل عودُه إلى العمل، والمعنى: أنَّ العملَ الصَّالح هو الذي يرفعه الكلمُ الطَّيِّب.. ويُحتمل عودُه إلى الكلم؛ أي إنَّ الكلم الطَّيِّب – وهو التوحيد – يرفع العملَ الصَّالح؛ لأنه لا يصحُّ العمل إلَّا مع الإيمان»(٥٧)؛ وبذا وجدْنا – كما في الأول – أنَّ إمكانية عود الضَّمير على ثلاث مرجعيَّات يحتملها السِّياق التركيبيُّ الذي جاء هنا – عن قصدٍ – مُطلقاً غيرَ مقيَّد بدلالات مُحدَّدة؛ توسُّعاً في المعنى، وتكثيفاً له، وبسطاً في أُفقه؛ فهي لا تحدِّد عائديةً معيَّنة بذاتها للضَّمير الغائب الذي أُريد له أن يشمل كلَّ المرجعيَّات المحتملة.

وفي قوله ﷻ: ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [سورة الانبياء] تستوقفنا مرجعية الضَّمير في ﴿ **إِلَيْهِ** ﴾؛ فالمرجعُ القريب الذي يُحيل إليه الضَّمير هو كبيرُ الأصنام الذي تركه إبراهيم عليه السلام من دون تحطيم؛ فيكون رُجُوعُهم بأن يأتوا إليه؛ «فيسألوه كيف وقعت الواقعة وهو حاضرٌ؛ فلم يدفعْ عن صغار الآلهة؟!!»(٥٨)، أو أن تكون عودتهم إليه «كما يرجع الى العالم في حلِّ المُشكلات... وأنَّ قياس حال مَنْ يُسجد له ويُؤهَّل للعبادة أن يُرجع إليه في حلِّ كلِّ مُشكل!!»(٥٩)؛ فيكون مقصد إبراهيم عليه السلام – من الإبقاء على كبيرهم بغية رُجُوعهم

إليه – سائراً في ٱتجاهين وفي خطَّين متوازيين، هما: **الأوَّل**: ما بيَّنَّاه، **والثاني**: رجاء عودتهم ورُجُوعهم إليه هو عليه السلام، وٱستفسارهم منه عمَّا ألمَّ بآلهتهم؛ لينقضَّ عليهم حينها بإقامة الحُجَّة، وبيان جهالتهم وبُطلان عبادتهم وسخافتها بصرفها لما هو عاجز حتى عن الجواب والرَّدِّ!! والهدف المُتوخَّى من الرُّجوع في الحالين – كما هو واضحٌ – واحد.

وعلى العُمُوم؛ فقد كان قصدُه عليه السلام أن يضعهم في مُواجهةٍ حقيقية لواقع تفكيرهم القاصر؛ فيرجعوا إلى كون هذه الأصنام عاجزةً عن النطق لتجيبهم؛ فتقوم عليهم الحُجَّة.. وقد رجعوا إليه عليه السلام بالفعل سائلين ومُستفسرين؛ فكانت إجابتُه مُشعرةً بالاستخفاف بعقولهم؛ تهكُّماً وتعريضاً بأنَّ ما لا ينطق ولا يُعرب عن نفسه ليس أهلاً للأُلوهية والعبادة.. والقوم وإنْ كانوا قد علموا في قرارات أنفسهم أنَّ الأصنام لم يكن بمقدورها الكلام؛ إلَّا إنَّ إبراهيم عليه السلام أراد أن يقنعهم بأنَّ حدثاً عظيماً كهذا يُوجب أن ينطقوا بتعيين مَنْ فعل بهم ذلك؛ ولكنَّ قومه المشركين أصرُّوا مُستكبرين على الإشارة إلى هذا الجُذاذ والهشيم المتبقِّي وهم ما زالوا مصرِّين على أنها آلهة أهل للعبادة؛ فيجيبهم عليه السلام إجابةً لاذعة تناسب مُستواهم العقليَّ حين رجعوا إليه بالسُّؤال، لا إلى كبير الأصنام[٦٠]!!

هذا، وإنَّ لقابلية السِّياق على الإيماء وسعة المقام الذي يرد فيه الضَّمير دوراً بارزاً في إمداد ذلك الضَّمير بطاقة تأويلية مُتفجِّرة نابعة من تعدُّد ٱحتمالات المعنى الذي توجده الإحالات المُتعدِّدة، والتي لا ينفرد بها ضمير الغائب المتصل وحسب؛ بلْ تتنوَّع الضَّمائر المؤدِّية لهذه الوظيفة الحركية للذِّهن.. ففي مقام قوله جلَّ جلاله: ﴿ **فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾** ﴾ [سورة هود] نلحظ صوراً مُتنوِّعة مُكثَّفة، تعرض دعوات رُسُل الله عليهم السَّلام التي تصبُّ جميعُها في تأكيد قضية التوحيد والانصياع لأوامره جلَّ جلاله، مع ٱختلاف طرق الدعوة إليه، ويتبعها بيان رُدُود أفعال الأقوام التي تعرض عليها تلك الدعوات المتكرِّرة، وكيف أنهم كانوا يقابلونها بالإعراض والصُّدُود والجُحُود والنكران من غير ما رَوِيَّةٍ أو تفكُّر!! ومن ثمَّ يأخذ السِّياق في بيان أشكال العقاب الذي نالوه جرَّاء ظلمهم لأنفسهم!!

قال جلَّ جلاله: ﴿ **وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ** ﴾؛ أي: «وما هذه العقوبة، أو القرى، أو الأرض التي حلَّ بها العذابُ المُخزي بمكانٍ بعيد المسافة من مشركي مكَّة الظَّالمين لأنفسهم بتكذيبك والتماري بنُذُرك أيها الرَّسول؛ بلْ هي قريبةٌ منهم، واقعةٌ على طريقهم في رحلة الصَّيف إلى الشَّام»[٦١]؛ فضميرُ الغائبة المنفصل ﴿ **هِيَ** ﴾ الذي يدلُّ على الإفراد والتأنيث قد تعدَّدتْ مرجعيَّاته

إلى ما هو مُشاهَدٌ محسوس إذا ما عاد على المدينة، أو القرية؛ فيكون البُعد مكانياً، وتكون دعوةً للاعتبار بوُجُود آثار هذه القرى وآثار العقوبة التي وقعتْ عليهم.. أو أن يعود الضَّمير على أمرٍ معنويٍّ يُوحي به عودُهُ على الحجارة المُسوَّمة، وهي واسطة العذاب الذي وقع عليهم؛ فيتحقَّق بذلك قانونُ المرجع بأنْ يعود على أقرب مذكور؛ وهي الحجارة(٦٢).

إنَّ ٱنفتاح المجال الإحاليِّ الحاصل بالضَّمائر المنفصلة يتحقَّق أيضاً في أمثال قوله ﷻ: ﴿ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [سورة يونس]؛ إذ يمنحُنا ٱنفتاحُ المجال الدَّلاليِّ في السِّياق العامِّ مرجعيّاتٍ مُتعدِّدةً للضَّمير ﴿ هُوَ ﴾؛ فما أخبر عنه رسولُ الله ﷺ كثير، وما وقع ٱعتراضُهُم على قبوله ممَّا أخبر به مُتعدِّد أيضاً؛ كالنبوَّة، والشَّرائع، والبعث، والقيامة، ونزول العذاب، والموعد، والقرآن الكريم... الخ، وإنَّما جيء بضمير الغائب لإرادتها جميعاً؛ وإنْ كان السِّياق العامُّ مُشيراً ومُرجِّحاً – من بين سائر تلك الاحتمالات – لوقوع العذاب ونزوله بساحتهم(٦٣).

وفي قوله ﷻ: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِۚ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [سورة البقرة] نجدُ في قوله ﷻ: ﴿ لِيَحْكُمَ ﴾ ضميراً مُستتراً غائباً مفرداً (هو)، وقد تعدَّدتْ إحالاتُه ومرجعيَّاتُه؛ لغياب الإسناد فيه، ووُرُوده حُرَّاً غير مقيَّد بأية قرينة.. يقول الفخرُ الرَّازي: «أما قوله ﷻ: ﴿ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾؛ فاعلم أنَّ قوله: ﴿ لِيَحْكُمَ ﴾ فعل؛ فلا بدَّ من ٱستناده إلى شيءٍ تقدَّم ذِكْرُه، وقد تقدَّم ذِكْرُ أُمُورٍ ثلاثة؛ فأقربُها إلى هذا اللَّفظ: الكتاب، ثمَّ النَّبيُّون، ثمَّ الله ﷻ؛ فلا جرم كان إضمار كلِّ واحد منها صحيحاً؛ فيكون المعنى: ليحكم الله ﷻ، أو النَّبيُّ المنزل عليه، أو الكتاب، ثمَّ إنَّ كلَّ واحدٍ من هذه الاحتمالات يختصُّ بوجه ترجيح: أما الكتاب؛ فلأنه أقربُ المذكورات، وأما الله؛ فلأنه ﷻ هو الحاكم في الحقيقة لا الكتاب، وأما النَّبيُّ؛ فلأنه هو المُظهِر»(٦٤).

وغيرُ بعيدٍ عن الضَّمائر اللُّغوية متَّصلة ومنفصلة، تعدُّ أسماءُ الإشارة من الوحدات اللُّغوية ذوات الكثافة الدَّلالية المُتراكمة والسَّعة في الكلام، والتي تتحكَّم بها قواعدُ الاستعمال السَّابق واللَّاحق.. فإذا كانت الإحالةُ بالضَّمائر تقتصر على الشُّخُوص أو المواضيع؛ فإنَّ الإحالة بأسماء الإشارة تتَّسع لتحتوي فضاءً نصِّيًّا أكبر؛ لكون المُشار إليه بها يكون أشخاصاً، أو ذوات أماكن، أو أزمنة؛ لذا وُصِفتْ إحالتُها بـــ(المُكثَّفة)، و(المُوسَّعة)، و(المُتراكمة)؛ لإمكانية الإحالة بها إلى جُملةٍ بأكملها، أو مجموعة مُتتالية من الجمل!! ثمَّ إنها تتجاوز حُدُود البناء النظريِّ لتكتنف أوسع الأشكال اللُّغوية – لفظاً مُفرداً، جُملة واحدة، جُملاً عدَّة –كما تعدُّ – بشتَّى أصنافها

المُتعدِّدة – عملية إحالة قبلية؛ بمعنى إنها تربط جزءاً لاحقاً في النصِّ بجزءٍ سابق؛ ومن ثمَّ تسهم في ٱتِّساقه.

جاء في كتاب «**قواعد التدبر الأمثل – القاعدة التاسعة والثلاثون – حول لفظة (كذلك) في القرآن**» ما نصُّه: «يمرُّ المُفسِّرون على لفظة **(كذلك)** في كثير من الآيات القرآنية الكريمة من دون أن يُولوها ما تستحقُّه من تدبُّرٍ وتفكُّرٍ في دلالتها التي قد تكون عميقة أحياناً، ويكون مدلولها بعيداً، لا يُدرَك إلَّا بفهمٍ مُتعمِّق وواسع للنُّصُوص التي تتعلَّق بموضوع الآية، أو بما يتَّصل به ممَّا هو مُوزَّع في القرآن المجيد.. فعلى مُتدبِّر كلام الله ﷻ أن يوليَ هذه اللَّفظة عنايةً فائقة بأناة وطول تفكُّر، ونظر في الآيات المُتعلِّقة بموضوع الآية، أو المُتعلِّقة بموضوع أعمّ تفرَّع عنه موضوع الآية.

لفظة **(كذلك)** من النَّاحية اللُّغوية واضحة؛ فالكاف الأُولى أداة تشبيه، و**(ذا)** ٱسم إشارة، واللَّام تضاف حينما يكون المُشار إليه بعيداً، والكاف الأخيرة لخطاب المفرد.. لكن، ما هو المُشار إليه في الآية التي وردتْ لفظة **(كذلك)** فيها؟؟ وما هو المُشبَّه؟؟ وما هو المُشبَّه به؟؟ وما هو الغرض من التَّشبيه؟؟ هذا هو الذي ينبغي للمُتدبِّر أن يبحث فيه بأناة.

قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [سورة المرسلات]، دلَّ هذا النصُّ على أنَّ من جزاء المتقين – وهم الذين ٱستوفوا شروط مرتبة التقوى؛ بفعل الواجبات، وترك المُحرَّمات – أن يكونوا داخل الجنة في ظلال وعيون، وفواكه كثيرة ممَّا يشتهون، وأن يقال لهم: كلوا وٱشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون.

ويردُ هنا سُؤالٌ: هل الأبرار والمحسنون ينفردون بأنواع خاصَّة رفيعة من الجزاء، ولا يكون لهم جزاء مُماثل لجزاء المتقين؛ كالوارد في هذا النَّصِّ؟!! ويأتي الجواب القرآنيُّ الواسع سعة رحمة الله ﷻ بعباده المحسنين: ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾؛ أي: إنَّا كذلك الجزاء الذي نجزيه المتقين الذين هم من أهل مرتبة التقوى، نجزي المُحسنين الذين هم من أهل مرتبة الإحسان العليا؛ باعتبار أنَّ المحسنين هم متقون وزيادة.. فالمؤمن لا يرقى إلى مرتبة الإحسان حتَّى يستكمل كلَّ واجبات مرتبة التقوى، وفضائل مرتبة البرِّ، ويتحلَّى – مع ذلك – بفضائل مرتبة الإحسان.. فالمُحسِنون لهم كلُّ جزاءات المتقين، وكلُّ جزاءات الأبرار، مع ما يُفضِّلهم الله ﷻ به من جزاءاتٍ خاصَّة بهم، وهي من جزاءات مرتبة الإحسان!!

...﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ

﴿ وَهَـٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [سورة الأنعام]؛ فأبان الله ﷻ في هذا النصِّ أنه آتى إبراهيم عليه السلام الحُجَّة، ورفع درجاته، وأنه هدى إسحاق ويعقوب، وأنه هدى نوحاً من قبل، وأنه هدى من ذرِّيَّة إبراهيم داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى هارون، وأنَّ هذه الهداية الممتازة كانت بسبب كونهم محسنين.. وأخيراً أبان ﷻ أنَّ ما منحه لهم قد جرى ضمن سُنَّته الثابتة التي يُجريها لكلِّ المحسنين؛ فقال ﷻ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾، ولا بدَّ أن يكون ما منحهم أمراً غير الاصطفاء بالنبوَّة والرِّسالة؛ لأنَّ الاصطفاء بالنبوَّة والرِّسالة ليس سُنَّةً يجزي الله ﷻ بها كلَّ المحسنين.

...﴿ أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡ ۚ..... وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِ ۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ [سورة البقرة]؛ أي: كذلك البيان التفصيليِّ لأحكامٍ تتعلَّق بالصِّيام، يُبيِّنُ الله ﷻ سائر آياته للناس المُتعلِّقة بسائر الأحكام، ممَّا سيأتي تفصيلُه فيما سينزل من قرآن؛ لعلَّهم يتقون...

...﴿ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡ ۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ ﴾ [سورة البقرة]؛ أي: كذلك الجزاء الذي أُمرتم به في هذا النصِّ من مُقاتلة هؤلاء الذين قاتلوكم وأخرجوكم من دياركم يكون جزاء الكافرين الذين يعملون مثل أعمالهم؛ فأعطى النصُّ الحكم الخاصَّ بكفَّار مكَّة، ثمَّ عمَّمه على سائر الكافرين إذا فعلوا مثل أفعالهم؛ فكان له بذلك التعميم صفة الحكم العامِّ بعد أن كان مُوجَّهاً بصورة حكم خاصّ»[٦٥].

ومن الأمثلة الأُخرى لآيات ٱشتملتْ على تلك اللَّفظة[٦٦]: [سورة البقرة/ الآيات: ٧٣، ١١٣، ١١٨، ١٤٣، ١٦٧، ٢١٩، ٢٤٢، ٢٦٦، وسورة النحل/٣١، وسورة الشعراء/٥٩، وسورة الدخان/ ٢٨].

وفي إطار مفهوم التكثيف المعنويِّ بالإحالة المُوسَّعة؛ فإننا نجد أنَّ هذا الاتِّساع لا يقتصر على الشَّكل المادِّيِّ اللَّفظيِّ فحسبُ؛ بلْ يتخطَّاه إلى إحالةٍ مُوسَّعة ذهنية معنوية؛ بأنْ يُحيل على فكرة توحي بها الإشارة بمعونة المقام؛ فتتولَّد عنها حركةٌ ٱنتشارية للمعنى تحصل من خلال المساحة المُوسَّعة التي يُوجدها البُعد الدَّلاليُّ للإحالة القبلية – وأحياناً البعدية – المفهومة خارج التَّركيب، وهي تُسهم في توثيق كتلة النصِّ كلِّه؛ وبذا يتشكَّل لاسم الإشارة دورٌ وأثر في عملية التأويل من خلال تعدُّد المُشار إليه، والمدلول الجديد المنبثق من المشار إليه الذِّهنيِّ، وهذا يتولَّد من تشكُّلاته في رصف التراكيب وٱنتظامها؛ بوَصْفها جزءاً من المادَّة البنائية التي تجعل من

النصِّ بنيةً مُتماسكة، وتكمن فاعليتها في توليد المعاني من خلال العلاقة التي تقيمها بين أجزاء النصّ[٦٧].

ممَّا تقدَّم نلحظ كيفية إفادة المجال التأويليِّ من دلالات القرب والبُعْد، المادِّيَّة والذِّهنية لأسماء الإشارة في إثراء معاني الجملة العربية، والعمل على تكثيف إيحاءاتها وتوسيع نطاقها الدَّلالي؛ كما في قوله ﷻ: ﴿ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [سورة الاعراف]؛ فاسم الإشارة **(تلك)** الذي يدلُّ على بعد المُشار إليه، والذي أُشير به إلى الجنة، فضلاً عن دلالة «ٱقتران اللَّام بكاف الخطاب لجماعة الذُّكُور، والتي أخرجت ٱسم الإشارة عن الحسِّيَّة التي تعتمد على الجوارح والأعضاء إلى الإشارة العقلية الذِّهنية»[٦٨]، وٱستعمال ٱسم الإشارة في غير المُشاهد وفي غير ما يدركه الحسُّ مجاز؛ «لتنزيله منزلة المحسوس المشاهد!!»[٦٩]، ويستند هذا القول على أنَّ الجنة غير مشاهدة بالنسبة للسَّامع؛ إلَّا إنَّ السِّياق العامَّ يوحي بأنَّ الجنة المشار إليها هنا ماثلة بين يدي من توجَّه النداء إليهم.. فدلالة البُعْد في ٱسم الإشارة تحتمل دلالات أُخر أبعَدَ من الظَّاهر؛ منها: أن يكون البُعْد باعتبار سبق الوعد بها في الدُّنيا، أو أن يكون «القصد: بيان رفعة شأنها، وتعظيم المنَّة بها»[٧٠]؛ إذ منحتْ دلالة البُعْد الاعتباريِّ في ٱسم الإشارة ﴿تِلۡكُمُ﴾ مساحةً دلاليةً متدرِّجة الدَّلالة، وهي:

- دلالة قريبة، يكون البُعْدُ فيها حقيقياً؛ لأنهم نُودوا عند رؤيتهم إيَّاها من مكان بعيد.
- أو لبيان عظم قدرها، وبُعد مرتبتها، ورفعة منزلتها.
- أو أن يكون فيها إشارة إلى أنها تلك الجنَّة التي وُعِدُوا بها في الدُّنيا.

ويُمكنُ أن نستشفَّ دلالةً أُخرى من البُعْد؛ بأن يكون فيها إشارة إلى أنها الجنَّة التي عملتم لأجل الحصول عليها؛ فيكون في البُعْد تصويرٌ للجهد الذي بذلوه لأجل تقريبها اليهم[٧١].

ونلحظ بوُضُوحٍ أكثر ظاهرة التَّوسُّع في المعنى وتكثيفه بشكلٍ تراكميٍّ بديعٍ مُعجِز في قوله ﷻ: ﴿ لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ﴿٢٢﴾ ﴾ [سورة ق]؛ إذ إنَّ ٱسم الإشارة ﴿هَٰذَا﴾ الذي يستخدم «للإشارة إلى قريب، أو يُراد به تنبُّه المخاطب لمن أُشير إليه»[٧٢] قد ٱنفتح مجالُه الإحاليُّ عبر السِّياق، وبفعل ظروفه التي واتتْ حركته داخله.. فالسِّياق الذي ورد فيه حَمَلَ سمة العُمُوم؛ لكون الجهة التي توجَّه إليها غير مقيَّدة، فإنْ كان المخاطبَ المعنيَّ بتوجيه هذا القول الرَّسولُ ﷺ؛ فإنَّ ٱسم الإشارة ﴿هَٰذَا﴾ يُشير إلى الرِّسالة؛ فيكون المعنى: «لقد كنت – يا محمد – في غفلةٍ من الرِّسالة في قريش في جاهليتهم»[٧٣].

إلَّا إنَّ السِّياق السَّابق الذي تركَّز الحديثُ فيه عن الكافرين، وعن إنكار البعث ومصير الأُمم المُكذِّبة، فضلاً عن دلالة الغفلة على السَّهْو الذي يعتري الإنسان من قلَّة التحفُّظ والتيقُّظ[٧٤] يُرجِّح كون الخطاب يحمل صفة العُمُوم، وليس هو خاصَّاً بالرَّسول الكريم ﷺ؛ فيكون المُرادُ: توبيخ الكافرين على تكذيبهم بمضامين الحساب والعقاب والبعث؛ فتكون – بذلك – الإشارة بـــ ﴿هَٰذَا﴾ إلى «الموعد الذي غفلْتَ عنه، وهذا هو الموقف الذي لم تحسِبْ حسابه»[٧٥]، وهذه هي النهاية التي لم تكنْ تتوقَّعُها!!

أو أن يُراد بالخطاب الكافر والمؤمن؛ لبعث الأثر المُراد في نفس كلٍّ منهما، «أما الكافر؛ فمعلوم الدُّخُول في هذا الحكم.. وأما المؤمن؛ فإنَّه يزداد علماً، ويظهر له ما كان مخفيَّاً عنه، ويرى علمه يقيناً رأي المُعتبر يقيناً؛ فيكون بالنسبة إلى تلك الأحوال وشدَّة الأهوال كالغافل»[٧٦]؛ فتكون دلالة ٱسم الإشارة هنا إلى كلِّ ما هو مُغيَّب عن الإدراك الحسِّيِّ للإنسان[٧٧].

المبحث الثالث
التأويل ـ الإشارة ـ التذوق ـ التأمل ـ العناصر غير اللغوية وأثرها في تكثيف المعاني القرآنية وتوسيع آفاقها الدلالية

وإذا عرفنا ما للألفاظ المحتملة والضمير وٱسم الإشارة... من أثرٍ فاعل في إثراء دلالات النصوص، وتوسيع نطاقها المعنويّ؛ فمن نافلة القول وتمام الفائدة أن نعرف الأثر ذاته كذلك لما تعورف وٱصطُلِحَ عليه اليوم باسم **(المفهوم الإشاري)**؛ إذ تتيحُ اللغة – بما تمتلكه من طاقاتٍ إيحائية وتوليدية هائلة – لذهن المتلقِّي أن ينطلق إلى عوالم دلالية تكمن وراءها، يكتشف من خلالها أبعاد هذه الطَّاقات الثرَّة المخزونة في مناجمها اللُّغوية المكنونة حين يحاول الوُصُول إلى الفهم بغية تحقيق التَّواصل.

والمفهوم الإشاريُّ – كواحدٍ من مصادر تلك الطَّاقة المتفجِّرة – يتولَّد عن اللغة عندما تتجاوز وظيفتها الرئيسة إلى أن تكون موظَّفةً لرسم شبكة من العلاقات ومدِّ جُسُورٍ من الصِّلات مع معنىً بعيد عن منطوقها، يُمكنُ إدراكه والكشف عنه من خلال الإسهام المشترك لعناصر السِّياق، والمقام، والخلفية المعرفية إسهاماً فاعلاً، فضلاً عن اللغة.. ومن هنا ظهرتْ قضية عدم كفاية اللغة وحدها لتأدية هذا المعنى اللَّاقوليّ.

وقد تنبَّه أبو عثمان عَمْرو بن بحر الجاحظ رحمه الله إلى هذا اللَّون من الدَّلالات وهذا الصِّنف من المعاني؛ إذ يقول: «إنَّ المعاني تفضُلُ عن الأسماء[٧٨]، والحاجات تجوز مقاديرَ

السِّمات، وتفوت ذرع العلامات!!»[٧٩]؛ فأشار بذلك رحمه الله إلى وقوع واحدٍ من أنواع التَّواصل يقصده المُتكلِّم؛ إلَّا إنَّه غيرُ مباشر الوصول إلى الذِّهن!! فاللغة وحدها لا تنهض في حالٍ كتلك لتأدية هذا المعنى غير المباشر.

وقد شغلتْ هذه القضية فكر الجاحظ، وأولاها من عنايته واهتمامه القدر البالغ؛ ما حدا به إلى تصنيف المعاني إلى أصنافٍ عدَّة، عدَّ الإشارة فيها شرطاً ضرورياً، أو مَعْبراً أميناً مُفضياً إليها ومُؤدِّياً لبلوغها.. وقد تعود تسميته لهذا الصِّنف بـــ**(الإشارة)**؛ لأنها قد تكون حركةً فتؤدِّي مدلولاً مُعيَّناً، وهذا المدلول يتحصَّل من غير نطق؛ فهي في اللغة نظام دلاليٌّ غيرُ لفظيٍّ قد يكون بالكفِّ، أو العين، أو الحاجب.. يقول رحمه الله: «ولا بُدَّ لبيان اللِّسان من أُمُور، منها: إشارة اليد»[٨٠].

ومن هنا غدتْ علاقة المفهوم الإشاريِّ بالتواصل – سواء كانت الإشارة فيه إيمائية مباشرة ومحسوسة، أم كانتْ إيحائية غير مباشرة؛ بأن تكون معنوية– تخرج بالدَّلالة إلى فضاء أوسع من ثنائية الدَّالِّ والمدلول إلى البحث في مدلول الدَّالِّ ومدلول المدلول؛ فهي ترتكز على مسار يتحرَّك من داخل اللَّفظ إلى فضاء الدَّلالات المكثفة والمُتراكمة في الخطاب كلِّه؛ وكأنَّ الجاحظ رحمه الله قد عدَّ الإشارة واحداً من أنواع الدَّلالات، وهي عنده شريكة اللَّفظ، وقد تغني عنه وعن الخطِّ، وهي أيضاً تعين في أُمُور يُرادُ سترها.. فـــ**(الإشارة)**: وسيلة من وسائل الفهم وتحقيق التواصل بغير اللَّفظ؛ كالحركة والإيماءة، ومنها إلى ظلِّ المفردات المنعكس في الذِّهن؛ أي: ما وراء اللغة[٨١].

فكما يوجد في اللغة مدلولٌ مباشرٌ سطحيّ، يُمكنُ التوصُّل إليه بالاكتفاء باللَّفظ؛ يوجد فيها كذلك مدلولاتٌ أُخرى لا يُمكنُ للغة النهوض بها وحدها؛ لتفاوت مراتب إدراك هذا الصِّنف من المعاني، وعدم القدرة على إيجاد حدٍّ فاصل يحُدُّها؛ فهي مُتعلِّقة بفضاء النصِّ وما يُتيحه للمتلقِّي من مجالٍ انتقاليٍّ إلى باطن اللَّفظ لاستكناه مقاصده؛ فينبني هذا المستوى من المعاني على تجاوزٍ نسبيٍّ للعلاقة المنطقية التي يقيمها الدَّالُّ مع المدلول الأول؛ لأنَّ المُعطى الأول يغدو غيرَ كافٍ للوصول إلى الفهم والاضطلاع بأداء رسالة الإفهام؛ فيكتشف مُعطىً آخر مقصود، قائم بذاته، كامن وراء ما يُؤدِّيه اللَّفظ؛ إذ إنَّ «المعنى فيه يستدعي مُستوىً في التَّعبير عن معنىً لا سُلطان للقدرات البلاغية والبيانية للمُتكلِّم عليه؛ إذ ليس في مستطاعها أن تسوِّي بين أقدار المعاني لتستوي الألفاظ.. ومن هنا جاءت الحاجة إلى التفسير، ثمَّ التأويل؛ لأنَّ طاقة اللغة على الإفصاح والإبانة محدودة؛ بحيث لا يُمكنُ أن يكون المعنى دائماً في ظاهر اللَّفظ»[٨٢].

إنَّ ٱنتقال المفردة من حقلٍ دلاليٍّ إلى آخر بحكم ما يُمليه عليها المفهوم الإشاريُّ – مُباشراً كان، أو غيرَ مُباشر – يعمل على توسيع دلالتها، وفتح آفاقها رحبةً للمعاني، كما يُوجِدُ مجالاً حركياً للمتلقِّي؛ ذلك أنَّ المفردة تأتي وهي مُحمَّلة بموروثها المعرفيِّ بالنسبة للمتلقِّي إلى السِّياق الذي تفِدُ إليه؛ لتلقي بحُمُولتها المُعجمية، وتثري السِّياق، وتستفزُّ وعيَ المُتلقِّي لاستكناه الظِّلِّ الذي نشرتْه في سياقها الجديد.

ففي قوله ﷻ: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سورة يس] تستوقفنا لفظة ﴿ نَسۡلَخُ ﴾ التي تدلُّ في أصل وضعها اللُّغوي على إخراج الشيء من جلده.. والانسلاخ حركة حسِّيَّة قوية تُمثِّلها حركات الجزَّار، وٱلتواءات الأفعى، ومدَّة خروج النور من الظَّلام[٨٣]، وتلحُّ دلالة الصُّعُوبة والشِّدَّة على إقحام نفسها والحُضُور في معنى اللَّفظة، وهذا بدوره يجعل حُصُولها يتطلَّب مُعالجةً ويحتاج إلى قوَّة مُحرِّكة ومُنظَّمة لهذا الحدث المُعجِز لتحقيق ٱتِّعاظهم.. فالسَّلْخُ عبارة عن «إخراج الشيء ممَّا لابسه وٱلتحم به، فكلُّ واحدٍ من اللَّيل والنهار مُتَّصلٌ بصاحبه ٱتِّصال الملابس بأبدانها والجُلُود بحيوانها، ففي تخليص أحدهما من الآخر حتى لا يبقى معه منه ظرفٌ، ولا عليه منه أثرٌ آيةٌ باهرة، ودلالة قاهرة»[٨٤]، والاستعارة هنا قائمة على «تشبيه زوال ضوء النهار وٱنحساره عن الكون قليلاً قليلاً، وظهور دبيب ظلمة اللَّيل إلى الكون بعملية السَّلْخ!!»[٨٥].

وبذا يفيد النصُّ من حركة التقارض والاستبدال القائمة بين المفردات أو شبكة العلاقات التي تقيمها اللَّفظة مع جملة السِّياقات التي ورد ٱستعمالها فيها، يفيد من مرجعيَّاتٍ مُعجميةٍ تسهم في بيان الأبعاد الحقيقية للأشياء، وتقريبها إلى أذهان الناس؛ لبُلُوغ أفهامهم وتمام إفهامهم؛ فأصبحتْ من خلال هذه الحركة المُصوَّرة لخروج النهار من اللَّيل تتجاوز محدودية الرُّؤية البشرية القاصرة إلى الإشارة لما يُرافق هذه الحركة المنظَّمة من صُعُوبةٍ تتطلَّب وُجُود قوة باهرة وقدرة قاهرة ويدٍ قادرة على تحريك هذا الكون بأسره مع ٱمتداده وٱتِّساعه، ولا بُدَّ من أن تكون هذه القوة والقدرة مُهيمنةً على هذا الكون، عظيمة في ذاتها.. فالآثار المُترتِّبة على هذه الظَّاهرة في تواليها مُستمرَّة مُتجدِّدة بتجدُّد دلالة الفعل المضارع ﴿ نَسۡلَخُ ﴾، وبحُضُور الذَّات الإلهية العظيمة المكنيِّ عنها في هذا السِّياق بالضَّمير المُستتر **(نحن)** الدَّالِّ على التَّعظيم ترتقي هذه الحركة لتكون آيةً منظورة باهرة ماثلة للناس في الكون، كآيتها المُعجزة القاهرة المسطورة في اللَّوح[٨٦]!!

وٱنطلاقاً من أهمِّيَّة هذا اللَّون من المفاهيم اللُّغوية، وإدراكاً لأبعاده المُترامية وآثاره المُتسامية، ووعياً لدوره الفاعل وأثره البيِّن في تكثيف نطاق مدلولات ألفاظ اللغة وتوسيعها وإثرائها، وإخراجاً لها من دائرة المفهومات المُعجمية الضيقة والمحدودة على سعتها وتشعُّبها؛ فقد ٱستنبط علماؤنا الأوائل رحمهم الله لوناً مُستقلَّاً بذاته في تفسير آي الذِّكر الحكيم، له كيانه الخاصُّ، وله ضوابطه وحُدُودُه ومُميِّزاته.. ٱصطلحوا على تسميته بـــ**(التفسير الإشاري)**[٨٧]، ومن أشهر ما كُتب فيه: **(تفسير القرآن العظيم)**، لسهل التُّسْتَريّ[٨٨]، و**(حقائق التفسير)**، لأبي عبد الرَّحمن السَّلميّ[٨٩]، و**(عرائس البيان في حقائق القرآن)**، لأبي محمد الشِّيرازي[٩٠]... الخ.

هذا، ويهدف النصُّ القرآنيُّ الحكيم – بالاستعانة بظاهرة التكثيف والتوسُّع في المعنى التي تعدُّ سمةً بارزة فيه – إلى إحْداث تغييرٍ في الأُطُر المُستقرَّة في ذهن المتلقِّي، وتقوى هذه الظَّاهرة على وجه الخصوص في تلك النصوص التي تستهلُّ بوضع أُطُرٍ خاصَّة بها، تخالف ما عهده الناس، وتتَّخذ هذه الأُطُرُ أشكالاً مُختلفة؛ منها: **(ظاهرة الانتقال الدَّلالي)**، وتنطلق هذه الآلية من وُجُود حركة ٱنتقال في العلاقات الدَّلالية المنطقية بين الوحدات اللُّغوية في نظام النصِّ الذي ترد فيه، وتظهر هذه الحركة طافيةً على سطح النصِّ؛ فيأتي الكلامُ مُكثَّفاً على صيغةٍ يجمع فيها بين شيئين أو أشياء لا يُمكنُ أن تجتمع في ذهن المتلقِّي أو في عالمه الخارجي؛ لذا فإنها تُضفي على أُفق القارئ أبعاداً جديدة قد لا يقولها النصُّ مُباشرة؛ بلْ يتوصَّل إليها القارئ من خلال الأثر الذي تحدثه فيه؛ لأنه قد يصطدم بشيء يُخالف ذهنيةً منطقية كان قد ٱعتاد عليها؛ فيكون المُتلقِّي أمام شيءٍ قد يبدو غريباً عليه للوهلة الأُولى؛ لذا فهو أنموذجٌ يستهدف الوقوف عند البنى العميقة الثاوية تحت الألفاظ عبر ٱستعراض إمكانياتها التحويلية للوقوف على العنصر المُكوِّن للبنى التركيبية[٩١].

من أجل ذلك كان بمقدور مُتدبِّر كتاب الله ﷻ تمشِّياً مع مراحل التنزيل أن يكشف من صور التلاؤم بين النصِّ القرآنيِّ والبيئة التي نزل فيها: البشرية، والزمانية، والمكانية، والحالات النفسية، والفكرية، الفردية والاجتماعية... ما لا يُمكنُ ٱستيفاؤه بنظرات عامَّات، وعناصر مُحدَّدات مُفصَّلات.. إنها من الأدب الرفيع الذي يتجدَّد عطاؤه كلَّما وُجد أديبٌ ذوَّاقة مُرهفُ الحسِّ، واسعُ التجربة الأدبية، واسع الخبرة.. وهذا العطاء دائمٌ لا ينضب ما دام التذوُّق الفنِّيُّ والتأمُّل الأدبيُّ للقرآن الكريم وآياته البيِّنات، وما دامتْ حركاته النفسية، وٱنطباعاته الذَّاتية التي لا يملك الإنسان لها ردَّاً ولا دفعاً، ولا يستطيع لها صَرْفاً ولا منعاً؛ إذ لا بُدَّ له أن يُبديها بشكلٍ

أو بآخر من خلال التذوُّق القائم على أُسٍّ متينٍ من السَّبْر والتدبُّر، ولا بُدَّ أن يظهر أثرها في خلجات نفس سامعه وحركاته وسكناته وآنفعالاته؛ شاء ذلك أم أبى!!

التَّذوُّق.. ذلك الشُّعور العجيب، وأحياناً الغريب لدى المُتدبِّر الأريب، وهو أيضاً ذلك المعنى الدَّقيق ذي المجال الرَّحْب، الذي يُحسِّه آبتداءً كلُّ من يُواجه النصوص القرآنية الرفيعة ذات الأساليب العالية، وينسكب وحيُها في وجدانه بمُجرَّد الاستماع لهذا القرآن الذي لا تنقضي عجائبه، ولا يَخْلَق على كثرة الرَّدِّ، وقد يتسنَّى للتالي للآيات البيِّنات أو السَّامع لها وصفُ غيضٍ من فيض القيم الشُّعُورية التي تنتابه بكلماتٍ قاصراتٍ ومحدودات، وغالباً ما يعجز عن ذلك!! ويرجع هذا إلى الصِّلة التي تربط بينها وبين القيم التعبيرية؛ إذ قد تجتاحُ الإنسانَ موجةٌ من المشاعر التي لا يجد في الكلمات كلِّها ما يفي بما يعتلج في داخله ويشفي ما يختلج نفسه ويعتمل في صدره للتعبير بها عنها؛ ولذلك آكتفى نفرُ الجنِّ المُستمعون لتلاوة النَّبيِّ ﷺ للقرآن للإفصاح والتعبير عمَّا دهمهم من شعورٍ عجيب يفوق الوصف، آقشعرَّتْ منه جلودهم ثمَّ لانتْ، وأخبتتْ له قلوبهم وآنقادتْ به حين لم يجدوا في الكلمات ما يُسعفهم، آكتفوا بوصفه بكونه ﴿قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١﴾ [سورة الجن][٩٢]!!

وهذا سيِّد قطب رحمه الله يُتحفنا بظلٍّ شفيفٍ ونبضةٍ يسيرة من أعماق قلب ما شعر به هو نفسه تجاه تلك النصوص القدسية العلية؛ إذ يقول – والحقُّ ما يقول– : «إنَّ في هذا القرآن سرَّاً خاصَّاً يشعر به كلُّ من يُواجه نصوصه آبتداءً قبل أن يبحث عن مواضع الإعجاز فيها!! إنه يشعر بسُلطانٍ خاصٍّ في عبارات هذا القرآن، يشعر أنَّ هنالك شيئاً ما وراء المعاني التي يُدركها العقل من التعبير، وأنَّ هنالك عنصراً ما ينسكب في الحسِّ بمُجرَّد الاستماع لهذا القرآن، يُدركه بعضُ الناس واضحاً، ويُدركه بعض الناس غامضاً؛ ولكنه على كلِّ حال موجود.. هذا العُنصرُ الذي ينسكب في الحسِّ يصعب تحديدُ مصدره: أهو العبارة ذاتها؟؟ أهو المعنى الكامن فيها؟؟ أهو الصُّور والظِّلال التي تشعُّها؟؟ أهو الإيقاع القرآنيُّ الخاصُّ المتميِّز من إيقاع سائر القول المصوغ من اللغة؟؟ أهي هذه العناصر كلُّها مُجتمعة؟؟ أم إنها هي وشيء آخر وراءها غير محدود؟!! ذلك سرٌّ مُودع في كلِّ نصٍّ قرآنيٍّ، يشعر به كلُّ من يُواجه نصوص هذا القرآن آبتداءً!!»[٩٣].

لذا؛ فإنَّ من المشاعر التي تنسكب في حسِّ تالي القرآن أو مستمعه ما لا يُستطاعُ وصفه أو التعبيرُ عنه بالكلمات.. وهذا سيِّد قطب ثانية – الذي كان يضيق الفضاء لخلجاته وأحاسيسه، لا لضيقه؛ بَلْ لسعتها – نلفيه مُقِرَّاً باستحالة ذلك؛ إذ يقول: «إنَّ إيقاع هذا القرآن المباشر في حسِّي

مُحالٌ أن أُترجمه في ألفاظي وتعبيراتي، ومن ثمَّ أُحسُّ دائماً بالفجوة الهائلة بين ما أستشعره منه وما أُترجمه للناس في هذه الظِّلال»[٩٤].

فليس من السَّهل إذاً أن نكبِّل المُفسِّر، أو المُتدبِّر، أو المُتأمِّل، أو المُتذوِّق، أو المُستمع لآي الذِّكْر الحكيم وقد ٱنسكبتْ في داخله كلُّ تلك الفيوضات من المشاعر الجيَّاشة، وٱنتابتْه كلُّ تلك النزعات من الأحاسيس الهفهافة؛ فنمنعه من التعبير عنها بما يراه هو مُناسباً من الكلمات، ونقول له: حِجْراً محجوراً؛ ما دام لم يخرجْ عن معاني النصوص ودلالاتها وإيحاءاتها، وما دام لم يشطَّ يميناً في فكره، أو يشطح شمالاً في ذِكْره.

ونستطيع – بعد هذا – القولَ بأنَّ التذوُّق الأدبيَّ للقرآن الكريم وآياته البيِّنات يقوم على مبدأ المُوازنة بين **(الذَّات)**، و**(الموضوع)**.. فللذَّات حقُّها في جانب الاستغراق في النصِّ والشُّعُور به؛ على أنْ لا يبلغ درجة الاستغراق التامِّ الذي يطغى على النصِّ، وينبذ المعاني الظَّاهرة!! وللموضوع هو الآخر حقُّه في ٱلتزام مدلوله اللُّغويِّ، وحُدُوده الشَّرعية، والتنبيه الدَّقيق إلى المعنى السَّليم، وٱلتزام أبعاد معانيه ومدلولاته بحيث لا يتجاوزها فيشطح.

إنَّ المُوازنة بين الذات والموضوع هي التي تستقرُّ بصاحبها في وسط ميدان التذوُّق الأدبيِّ، وبقدر التوازن يكون الاستقرار والثبات والسَّلامة.. فإنْ طغت الذَّاتُ على الموضوع؛ خرج عن نطاقه المُحدَّد والمرسوم له إلى ميدان التفسير الذي يُعوِّل على الأوهام أكثر من ٱعتماده على الحقائق، وجنح بصاحبه إلى الخيال الجارف وغير المُنضبط، الذي لا يعتمد على قواعد ثابتة، ولا يستند إلى أُصُول راسخة؛ بلْ نُلفيه يموج ويضطرب كما تضطرب الهباءة في الهواء.. ومن هنا نفذ الباطنيُّون إلى الإلْحاد في آيات الله ﷻ؛ حيث لا ٱرتباط بالنصِّ، ولا تقيُّد بمدلوله، ولا وقوف عند حُدُوده؛ بل ٱنسلاخٌ منه مُفضٍ إلى ٱنسلاخ من ربقة الدِّين برُمَّته!!

وإنْ طغى الموضوعُ على الذات؛ خرج عن نطاق التذوُّق الأدبيِّ إلى نطاق التفسير العلميِّ التجريبيِّ البحت، وضاقتْ جوانبُ جذبات النفس وسبحاتها، وضعفتْ وشيجة ٱرتباطها بالنصِّ، وغدا المُفسِّر والنصُّ كُتلتين مُنفصلتين كخليطٍ غير مُتجانس، لا تمازُج بينهما ولا تجاذب، ولا ٱنسجام ولا وئام.. وآنئذٍ يكاد المُفسِّر أن يكون مُجرَّد آلة دينامية لا تفاعل ولا ٱتِّحاد بينها وبين معمولها[٩٥]!!

إنَّ النصَّ القرآنيَّ نصٌّ ثريٌّ كريم وذو مُستوىً عالٍ ورفيع؛ لذا فإنَّ ٱستجابته للمعاني «ليست ٱستجابةً يفتعلها المُفسِّر أو يفرضها وفقاً لمعارفه ومعارف عصره؛ وإنما تعود هذه الاستجابة إلى كون النصِّ القرآنيِّ يُوحي بتخليق المعاني في داخله وفي أعماقه»[٩٦]، وقد أكَّد القرآنُ الكريم نفسُه في نُصُوصه البيِّنة كثرة معاني هذا الكتاب الكريم إلى غير نفاد، منها قولُه

ﷻ: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ [سورة الكهف]، وقال ﷻ: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [سورة لقمان].

هذا، وإنَّ اللغة العالية التي ٱمتازتْ بها نصوصُ الذِّكر الحكيم تُعدُّ عاملاً آخر مهمَّاً منحها القدرة على الجود بالمعاني المُتنوِّعة، وهبة المفاهيم الجديدة؛ فهي – بلا غرو – المفتاح لدُخُول القارئ والمُفسِّر إلى عالم النصِّ الفسيح، وٱستنباط دلالاته، وٱستخراج أحكامه وحكمه؛ إذ ٱختار الله ﷻ لكتابه من بين الألسنة اللِّسانَ العربيَّ؛ لأنه المُظهِرُ للمعاني والمقاصد الذِّهنية أتمَّ إظهار؛ فشرُفتْ بذلك اللغة، وعلا شأنها، وبلغتْ من السُّمُوق شأواً لا تُدانيها فيه أية لغة أُخرى(٩٧).

وفي عُمُوم سياق الظَّاهرة التراكمية في المعنى المُفضية للتكثيف والتوسُّع في دلالات آي الذِّكر الحكيم، تلك الظَّاهرة الجليلة التي لا حدَّ لعطائها ولا مدى لسخائها؛ فهو غيرُ محدودٍ ولا مُتناهٍ.. يقول ٱبن حبنكة الميداني رحمه الله: «مهما أمكن الجمعُ بين التفسيرات الجزئية التي تندرج في معنىً كلِّيٍّ؛ فهو الأوْلى بأن يكون منهجَ المُتدبِّر لكلام الله ﷻ.. فإذا ورد في تفسير نصٍّ ذي معنىً كلِّيٍّ تفسيراتٌ هي من قبيل التطبيقات، أو التفسيرات الجزئية التي تندرج جميعُها – وغيرُها – تحت المعنى الكلِّيِّ الذي يشملها، وهذا المعنى الكلِّيُّ بدلالته الشَّاملة صحيحٌ لا ردَّ له، تشهد لصحَّته دلالة نصوصٍ قطعية أُخرى؛ فالأوْلى حملُ النصِّ على المعنى الكلِّيِّ العامِّ، ولا داعي لتخصيصه بواحدٍ من المعاني الجزئية التي جاءتْ في التفاسير؛ إلَّا أن يكون السِّياقُ يقتضي تخصيصه حتماً، ولم يرد النصُّ على أنه قاعدةٌ كلِّيَّة عامَّة، وما في السِّياق أحدُ أفرادها.

فكثيراً ما يأتي في التفاسير تفسيرُ المُراد من الكلمة أو الجملة القرآنية بعدَّة وُجُوه، ولدى التمحيص والتحليل والتأمُّل؛ يظهر أنَّ هذه الوُجُوه هي من قبيل التطبيقات الجزئية، أو المعاني الجزئية لدلالة الكلمة أو الجملة القرآنية ذات المعنى الكلِّيِّ العامِّ الذي يشملها جميعاً، فهي تصلح لأنْ تدلَّ عليها جميعاً من دُون تخصيصٍ بواحدٍ منها أو أكثر.. وما جاء عن المُفسِّرين – ولو كان مأثوراً عند الصَّحابة أو التَّابعين ﷺ – إنما هو تفسيرٌ للنصِّ القرآنيِّ ببعض ما يدلُّ عليه من جزئياتٍ أو أفراد!!»(٩٨).

وأضاف رحمه الله: «والمنهجُ الأمثل لمُتدبِّر كلام الله ﷻ هو أن يُبقيَ اللفظة، أو الجملة القرآنية على دلالتها الكُلِّيَّة، ومعناها الشَّامل؛ حتَّى تدلَّ على كلِّ الجزئيات، أو الأفراد والصُّور

التي يُمكنُ أن تكون مشمولةً بها؛ ما لم يقم الدَّليلُ على التخصيص ببعض الجزئيات، أو الأفراد، أو الصُّور دون بعض[٩٩].

وعلى هذا تجمع أقوال المُفسِّرين مهما ٱختلفتْ، وتعدُّ مدلولاً عليها بالنصِّ في شموله، ويظلُّ المعنى الكلِّيُّ للنصِّ شاملاً كلَّ ما يُمكنُ أن ينطبق عليه من جزئياتٍ، أو صورٍ، أو أفراد، من دُون تخصيصٍ ببعضها إلَّا بدليلٍ مُخصِّص»[١٠٠].

وتابعه فيما ذهب إليه الشيخُ الدكتور محمد حسين الذهبيُّ رحمه الله في بحثه القيِّم **(التفسير والمُفسِّرون)** حذو القذَّة بالقذَّة؛ إذ يقول: «إذا نحن تتبَّعْنا ما نقل لنا من أقوال السَّلف في التفسير، وجمعْنا ما هو مبثوثٌ في كُتُب التفسير بالمأثور؛ لخرجْنا بادي الرأي بكثيرٍ من الأقوال المُختلفة في المسألة الواحدة... وغالبُ ما صحَّ عنهم من الخلاف في التفسير يرجع إلى ٱختلاف عبارة مثلاً، أو ٱختلاف تنوُّعٍ، لا إلى ٱختلاف تبايُنٍ وتضادٍّ كما ظنَّه بعضُ الناس؛ فحكاه على أنه أقوالٌ مُتباينة لا يرجع بعضُها إلى بعض!!

ونستطيع بعد البحث والنظر في هذه الأقوال التي ٱختلفتْ ولم تتباينْ، أن نُرجع هذا الخلافَ إلى عوامل عدَّة، نذكُرُها ليتبيَّن لنا أنه لا تنافي ولا تباين بين هذه الأقوال التي تبدو مُتعارضةً عن السَّلف، وهي ما يأتي:

- **أوَّلاً:** أن يُعبِّر كلُّ واحدٍ من المُفسِّرين عن المُراد بعبارةٍ غير عبارة صاحبه، تدلُّ على معنىً في المُسمَّى غير المعنى الآخر، مع ٱتِّحاد المُسمَّى...
- **ثانياً:** أن يذكر كلٌّ منهم من الاسمِ العامِّ بعضَ أنواعه على سبيل التمثيل وتنبيه المُستمع على النوع، لا على سبيل الحدِّ المُطابق للمحدود في عُمُومه وخصوصه...
- **ثالثاً:** أن يكون اللَّفظُ مُحتملاً للأمرين أو الأُمُور؛ وذلك إما لكونه مُشتركاً في اللغة... وإما لكونه مُتواطئاً في الأصل؛ لكنَّ المُراد به أحدُ النوعين، أو أحدُ الشَّخصين...
- **رابعاً:** أن يُعبِّروا عن المعاني بألفاظٍ مُتقاربة لا مُترادفة؛ فإنَّ الترادف قليلٌ في اللغة، ونادر أو معدوم في القرآن، وقلَّ أن يُعبِّر عن لفظٍ واحدٍ بلفظٍ واحدٍ يُؤدِّي جميعَ معناه؛ وإنما يُعبِّر عنه بلفظٍ فيه تقريبٌ لمعناه...
- **خامساً:** أن يكون في الآية الواحدة قراءتان أو قراءاتٌ؛ فيُفسِّر كلٌّ منهم على حَسْب قراءةٍ مخصوصة؛ فيُظنُّ ذلك ٱختلافاً، وليس باختلاف...»[١٠١].

فما أروعَ قوليهما!! وما أحراهما بالتدبُّر والتأمُّل، وما أحوجنا إلى فهم نصوص الوحي المُكثَّفة في ضوء تلك القواعد التفسيرية المتينة والضَّوابط العلمية الرَّصينة!!

ولا يضيرنا شيئاً أن نضرب لما تقدَّم من قواعد علمية محكمة مثالين أو ثلاثة فوق ما تقدَّم؛ زيادةً في إيضاحها وبيانها، وسفراً لمراميها وما سيقتْ له.. ولا يسعنا في هذا المقام إلَّا أن نستعير ما جاء في **(قواعد التَّدبُّر)** من تدبُّرٍ حصيفٍ أمثل، وإدلاءٍ بحثيٍّ مُتَّئد، وتحليلٍ علميٍّ سديد، ونظرةٍ ثاقبة وقَّادة، وسَبْرٍ عميق نافذٍ لأعماق النصوص الكريمة المعطاء:

❖ جاء في بيان لفظ **(السُّفهاء)** من قوله ﷻ: ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ ﴿١٤٢﴾ ﴾ [سورة البقرة] عدَّة أقوال، أهمُّها: أنهم **مُشركو العرب**، أو **أحبارُ اليهود**، أو **المنافقون**[١٠٢]، وقال ٱبنُ كثير رحمه الله: «... والآية عامَّة في هؤلاء كلِّهم، والله أعلم»[١٠٣]، وعقَّب الميدانيُّ رحمه الله بالقول: «وما قاله ٱبنُ كثير أعمُّ وأشمل؛ إذ لا مُوجِبَ للتخصيص.. ومن المعلوم المُجرَّب أنَّ الكافرين على ٱختلاف أصنافهم متى أطلق بعضهم شُبْهةً على الإسلام؛ ردَّدها سائرُهُم، وتناقلها بعضُهم عن بعض؛ فيكونون جميعاً قائلين لها ولو لم يكونوا كلُّهم مُبتكرين لها.. وهذه المقالةُ الواردة في الآية قد يكون اليهودُ أوَّلَ من أطلق فكرتها، ثمَّ ردَّدها المنافقون نقلاً عنهم، ثمَّ ردَّدها المشركون!! فالجميع قائلون لها»[١٠٤].

❖ وقال ﷻ: ﴿ فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ﴿٨﴾ ﴾ [سورة الشرح]، روى البخاريُّ عن مُجاهد رحمهما الله في قوله ﷻ: ﴿ فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ﴾؛ أي: فانصَبْ في حاجتك إلى ربِّك[١٠٥]، وعقَّب الميدانيُّ على تفسير مجاهد بالقول: «وما ذكره مُجاهد هو أحدُ مُفردات ما يطلب أنْ ينصب فيه، والأولى حملُ النصِّ بمُقتضى العُمُوم الذي دلَّ عليه حذف معمول ﴿وْ﴾ على النصب في فعل كلِّ خير وجَّه الله ﷻ لفعله: من دعوةٍ إلى الله، وجهادٍ في سبيله، ونُصْحٍ للمسلمين، وٱشتغال بمصالحهم، وذِكْرٍ لله ﷻ، وتسبيحٍ، ودُعاءٍ، وغير ذلك»[١٠٦].

❖ وجاء في تفسير كلمة **(هلوع)** من قول الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ ﴾ [سورة المعارج]، دلالتها على المعاني الآتية: **شحيح، ضجور، حريص، بخيل منوع للخير، جزوع إذا نزل البلاء بساحته**[١٠٧]؛ فعلى المُتدبِّر الحصيف لكلام الله ﷻ «أن يجمع المعاني الجزئية الصَّحيحة التي تنسجم مع دلالة النصِّ بسوابقه ولواحقه، وبدلالة نصوصٍ أُخرى مُوزَّعة في القرآن تُتمِّم معنى النصِّ الموضوع للتدبُّر، ويُؤلِّف منها معنىً جامعاً كلِّيًّا، ويفهم النصَّ الذي يتدبَّره بمقتضى ذلك»[١٠٨].

وفي هذا السِّياق يقول ٱبن عاشور رحمه الله: «وإنَّك لتمرُّ بالآية الواحدة؛ فتتأمَّلها وتتدبَّرها؛ فتنهال عليك مَعَانٍ كثيرةٌ يسمح بها التركيبُ على ٱختلاف الاعتبارات في أساليب

الاستعمال العربيِّ، وقد تتكاثر عليك؛ فلا تكُ من كثرتها في حَصْرٍ، ولا تجعل الحَمْلَ على بعضها مُنافياً للحَمْل على البعض الآخر إنْ كان التركيبُ سمحاً بذلك.. فمُختلف المَحَامل التي تسمح بها كلماتُ القرآن وتراكيبُه وإعرابُه ودلالته: من ٱشتراكٍ، وحقيقةٍ ومجازٍ، وصريحٍ وكنايةٍ وبديعٍ، ووَصْلٍ ووقف.. إذا لم تُفْضِ إلى خلاف المقصود من السِّياق؛ يجبُ حَمْلُ الكلام على جميعها... وعلى هذا القانون يكونُ طريق الجمع بين المعاني التي يذكُرُها المُفسِّرون، أو ترجيح بعضها على بعض.. وقد كان المُفسِّرون غافلين عن تأصيل هذا الأصل؛ فلذلك كان الذي يُرجِّح معنىً من المعاني التي يحتملها لفظ آية من القرآن يجعل غيرَ ذلك المعنى مُلغىً.. ونحن لا نُتابعهم على ذلك؛ بلْ نرى المعاني المُتعدِّدة – التي يحتملها اللَّفظ بدون خُرُوجٍ عن مَهْيَع[١٠٩] الكلام العربيِّ البليغ – معاني في تفسير الآية»[١١٠].

وفي السِّياق ذاته – أو قريب منه – جاء في كتاب **(النَّبأ العظيم)** لدرَّاز ما نصُّه: «وتقرأ القطعة من القرآن؛ فتجد في ألفاظها من الشُّفُوف والملاسة والإحكام والخُلُوِّ من كلِّ غريبٍ عن الغرض ما يتسابق به مَغْزاها إلى نفسها دون كدٍّ خاطر ولا ٱستعادة حديث؛ كأنك لا تسمع كلاماً ولُغات؛ بلْ ترى صوراً وحقائق ماثلة!! وهكذا يُخيَّل إليك أنك قد أحطتَ به خُبْراً، ووقفتَ على معناه مَحْدوداً.. هذا، ولو رجعْتَ إليه كرَّة أُخرى؛ لرأيتَكَ منه بإزاء معنىً جديدٍ غيرِ الذي سبق إلى فهمك أوَّل مرَّة!! وكذلك؛ حتَّى ترى للجملة الواحدة أو الكلمة الواحدة وُجُوهاً عدَّة، كلُّها صحيح أو مُحتَمِلٌ للصِّحَّة، كأنما هي فُصٌّ من الماس يُعطيك كلُّ ضلع منه شُعاعاً، فإذا نظرْتَ إلى أضلاعه جُملةً؛ بهرَتْك بألوان الطَّيف كلِّها؛ فلا تدري ماذا تأخُذُ عينُك وماذا تدع.. ولعلَّك لو وكلْتَ النظرَ فيها إلى غيرك؛ رأى منها أكثر ممَّا رأيتَ.. وهكذا نجدُ كتاباً مفتوحاً مع الزمان يأخذ كلٌّ منه ما يُسِّر له؛ بلْ ترى مُحيطًا مُترامي الأطراف لا تحدُّه عقولُ الأفراد ولا الأجيال»[١١١].

وأخيراً وليس آخراً؛ فبعد تقعيد القواعد ورسم الملامح وتحديد السِّمات العامَّة؛ لا يسعُنا ٱستقصاءُ الشواهد والأمثلة في تكثيف معاني الآيات الكريمة والنصوص الحكيمة، أو الاستطراد فيها؛ لأنَّ جُلَّ آيات الذِّكْر الحكيم – إنْ لم تكُنْ كلُّها – من هذا القبيل.. فمَنْ رام المزيد؛ فدونه السَّبْر والتأمُّل والتذوُّق، ودونه المناهل الرقراقة المتمثلة بتلك الأسفار القيِّمة من كتب اللغة والتفسير والبلاغة؛ فإنها حافلة بالأمثلة، زاخرة بالشَّواهد؛ ولا سيَّما منها ما حواه تفسيرا الإمامين الجليلين: أبي جعفر محمد بن جرير الطَّبريّ (ت٣١٠هـ)، الموسوم بـ**(جامع البيان عن تأويل آي القرآن)**، وأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماورديّ (ت٤٥٠هـ)، الموسوم بـ**(النُّكت والعُيُون)**؛ إذ ٱستقصى كلٌّ منهما – إلى حدٍّ بعيد – أقاويل الأئمَّة الأعلام وآراءهم

ومذاهبهم حول المعاني المُكثَّفة التي دلَّتْ عليها اللَّفظة القرآنية الكريمة، أو الآية المباركة، أو النصُّ المُحكم.. وصدق الله العظيم القائل: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [سورة الكهف]، و ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة لقمان] !! ورُوي عن عبد الله بن مسعود ﷺ أنه قال: «من أراد العلم؛ فليُثوِّر القرآن[١١٢]؛ فإنَّ فيه علمَ الأوَّلين والآخِرين»[١١٣].

خاتمة البحث

وقبل أن نضع أقلامنا؛ يطيبُ لنا أن نُوجز ما فصَّلْناه في هذا البحث عبر خُلاصةٍ تتضمَّن أهمَّ النتائج التي توصَّلنا إليها فيه؛ فنقول وبالله التوفيق:

- الذي نعنيه بما آثرنا الاصطلاحَ عليه في هذا البحث بـــ**(تكثيف المعنى)**: أنَّ القرآن الكريم يستثمر دائماً برفق أقلَّ ما يُمكنُ من الألفاظ في توليد أكثر ما يُمكنُ من المعاني، وتلك ظاهرة بارزة فيه كلِّه؛ يستوي فيها مواضع إجماله التي يُسمِّيها الناس مقام الإيجاز، ومواضع تفصيله التي يُسمُّونها مقام الإطناب؛ ولذلك نُسمِّيه إيجازاً كلَّه؛ لأننا نرى أنَّ مراميه في كلا المقامين لا يُمكنُ تأديتُها كاملة العناصر بأقلٍّ من ألفاظه، ولا بما يُساويها؛ فليس فيه كلمة إلَّا هي مفتاحٌ لفائدةٍ جليلة، وليس فيه حرف إلَّا جاء لمعنى.
- من خصائص الإعجاز البيانيِّ في القرآن أنه يقتصد في الألفاظ ويفي بحقِّ المعاني، وهاتان النهايتان لا يُمكنُ الجمعُ بينهما إلَّا في لغة القرآن الكريم فحَسْب.. فالذي يعمد إلى ٱدِّخار اللَّفظ؛ لا ريب أنه لا يستطيع أن يُعبِّر عن مُراده؛ فيحيف على المعنى؛ ولذلك يصبح اللَّفظ هيكلاً لا يكسوه لحم!! والذي يعمد إلى الوفاء بحقِّ المعنى وتحليله إلى عناصره؛ لا بدَّ له من كثرة الألفاظ ليشفي صدره؛ فيكون هنالك إمْلال وإسفاف وإسراف وتكلُّفٌ باستعمال الألفاظ والتَّراكيب الغريبة!!
- من مظاهر الحيوية والحركية العديدة والرَّائعة الناشئة في النظام اللُّغوي بفضل سمة التَّكثيف المعنويِّ القائم على الإيجاز اللَّفظيِّ المبدع والخلَّاق: القدرة على الاختزال في الطَّاقة التعبيرية، من دون إخلالٍ بالوظيفة الإبلاغية.. وينشأ ذلك من إقصاء بعض عناصر التعبير، مع الإبقاء على أدائهم الإسنادي، وهذا ما يدخل في الاقتصاد اللُّغويِّ الذي يرمي إليه كلُّ نظامٍ لُغويّ.

- تُعدُّ اللغة العالية التي ٱمتازتْ بها نُصُوصُ الذِّكْر الحكيم عاملاً مهمَّاً منحها القدرة على الجود بالمعاني المُتنوِّعة، وهبة المفاهيم الجديدة؛ فهي – بلا غرو – المفتاح لدُخُول القارئ والمُفسِّر إلى عالم النصِّ الفسيح، وٱستنباط دلالاته، وٱستخراج أحكامه وحكمه؛ إذ ٱختار الله ﷻ لكتابه من بين الألسنة اللِّسانَ العربيَّ؛ لأنه المُظهِرُ للمعاني والمقاصد الذِّهنية أتمَّ إظهار؛ فشرُفتْ بذلك اللغة، وعلا شأنها، وبلغتْ من السُّمُوق شأواً لا تُدانيها فيه أية لغة أُخرى.
- الكلمة في أية لغةٍ لها فائقُ القدرة على ٱتِّخاذ دلالاتٍ مُتنوِّعة تبعاً للاستعمالات المُختلفة التي تستخدم فيها، وعلى البقاء في فضاء اللغة مع هذه الدَّلالات، ومن ثمَّ أداء عشرات من وظائفها بسُهُولة ويُسْر؛ إذ إنَّ خلق معانٍ جديدة لها لا يقضي بالضَّرورة على المعاني السَّابقة، ولا ينسخها.
- إذا كان المقامُ عنصراً أساسياً من عناصر أداء المعاني؛ فإنَّ غيابه قد يجعل المعنى الدَّلاليَّ مُحتملاً لغير ما وجهٍ؛ ممَّا يُؤدِّي إلى تعدُّدٍ في فهم المعاني وفي تحليلها.. فكلَّما كان وصفُ المقام أكثر تفصيلاً؛ كان المعنى الدَّلاليُّ أكثر وضوحاً، وبالمقابل فإنَّ غيابه أو ٱحتماليته يُؤثِّر تأثيراً مُباشراً في فهم الكلام؛ فيجعله محتملاً لغير ما معنىً.. ومن هنا وُصفت الجملة القرآنية الفريدة المُعجزة بأنها تراكمية، قائمة على تكثيف المعنى وإيجازه، مع الوفاء به والإحاطة بحيثياته.
- إنَّ معظم الألفاظ تأتي مكثَّفة في اللغة؛ أي إنَّ لها في المُعجم أكثر من دلالة يُحدِّدها السِّياق الخاصُّ الذي ترد فيه.. وإذا ما تصفَّحنا الدَّلالات المُعجمية لأُصُول ألفاظ لُغتنا المعطاء – فضلاً عن ألفاظ القرآن الكريم – في أيِّ مُعجمٍ مُتخصِّص؛ لألفينا بوضوحٍ تامٍّ أنَّ تعدُّد دلالات الأصل اللغويِّ أو القرآنيِّ الواحد وتنوُّع وجوهه المعنوية لم يكنْ – على الأغلب – ذاتياً بقدر تأثُّره بعوامل فعَّالة كثيرة، وبحكم تفاعله مع ظواهر مُتعدِّدة مُكتنفة له، لُغوية وغير لُغوية، يُمثِّلها ويجمعها جانبا **(المقام)**، و**(المقال)** الذي يرد فيه هذا النصُّ اللُّغويُّ أو ذاك النصُّ القرآنيّ.
- إنَّ واحداً من أسخى منابع العطاء الفكريِّ في القرآن المجيد ولُغته الثَّرَّة: ٱجتماعَ المعاني الكثيرة للكلمة الواحدة مكثَّفة باللَّفظ الواحد في كلامٍ واحد.. فإذا ورد أكثر من معنىً لُغويٍّ صحيح تحتملها الآية بلا تضادٍّ؛ وجب تفسيرُها بتلك المعاني جميعاً؛ إذ إنَّ ذِكْر اللفظ مرةً واحدة مُراداً بها جُملة المعاني التي يدلُّ عليها أوسعُ لدلالته، وأعمُّ لفائدته، وأثرى لمعانيه.. وهذا من عناصر الإيجاز القرآنيِّ، ومن دلائل الإعجاز البلاغيِّ فيه، وتلك هي

طبيعة النصوص الرَّفيعة التي تشتمل على دلالاتٍ كُلِّيَّة دُستورية؛ كنصوص القرآن المجيد، وكثير من أقوال النَّبيِّ الكريم ﷺ.

وبعبارة أخرى: إنَّ الكلمات أو الجمل القرآنية قد تكون ذوات أكثر من دلالة، وإنَّ بعض هذه النصوص صالحة لأنْ توحي بأكثر من معنىً، وإنه لا داعي لصرف النصِّ عن أحد تلك الدلالات والمعاني وقصره على واحدٍ منها دُون غيره؛ لما في ذلك من تحكُّمٍ يأباه العقل، وتأباه اللغة، وتأباه الأساليبُ البيانية الرَّفيعة.

- من دلائل الإعجاز في عبارة القرآن المجيد: تميُّزها عن غيرها من الكلام البليغ بكثرة الاحتمالات؛ فإنَّ كلام البشر كلَّما كان أبلغ؛ كان أدلَّ على المطلوب، وأبعَدَ عن الاحتمالات.. في حين إنَّ القرآن بما إنه صوتُ الغيب المُوجَّه إلى مسامع الدَّهر، يعي كلَّ زمن من أزمنته وكلَّ معنىً من معانيه بقدر ما يكون فيه من مقاييس الفكر وتطوُّرات العلم؛ فمن ثمَّ تجد الإنسان في كلِّ عصر يشعر إذا تلا القرآن أنَّ حقائقه تتجلَّى أكثر ما تتجلَّى في العصر الذي هو فيه.. وقد وردتْ ألفاظٌ كثيرة في القرآن المجيد ألفى المُفسِّرون أنفسهم إزاءها مضطرِّين لإيعازها إلى معانٍ مُحتملة؛ بيد أنَّ ذلك لا يحول دُون كون بعضها أقربَ إلى ذهن السَّامع من بعض؛ لشهرته وتداوله، وكثرة ٱستعماله في أحد معاني اللفظ.. وعلى تلك الشَّاكلة يُقاس كلَّ ما شاكل ذلك من الأمثلة والشَّواهد التي تحمل بين جوانحها ٱشتراكاً في اللَّفظ وتنوُّعاً في المدلول، وما أكثرها في كتاب ربنا ﷻ!! إذ إنَّ واحداً من أسخى منابع العطاء الفكريِّ في القرآن المجيد ولُغته الثَّرَّة – كما مرَّ آنفاً –: ٱجتماعَ المعاني الكثيرة للكلمة الواحدة مكثَّفة باللَّفظ الواحد في كلامٍ واحد.. فإذا ورد أكثر من معنىً لُغويٍّ صحيح تحتملها الآية بلا تضادٍّ؛ وجب تفسيرُ الآية الكريمة بها جميعاً.
- يتعدَّد المعنى القرآنيُّ في نظر المُعجميِّ الواحد أو المُفسِّر الواحد بسبب المُعطيات السِّياقية التي يرتكز عليها في فهم النصِّ، وقد يختلف فهمُ المعنى باختلاف النَّاس؛ ما يجعلنا نرى التفاوت النسبيَّ في الفهم وتحديد المعنى أمراً شائعاً، كما يظهر في المُعجمات وتفاسير القرآن الكريم وغيرها.
- ما دامت الحيويةُ فيها دافقةً، والشَّبابُ غضَّاً طرياً؛ فإنَّ باستطاعة اللغة التعبيرَ عن الأفكار المُتعدِّدة والمعاني المُتجدِّدة بواسطة طُرُقٍ حصيفة عديدة، مُتمثِّلة بتطويع الكلمات، وتكثيف معانيها، ومدِّ آفاقها الدلالية، وتأهيلها للقيام بعددٍ من الوظائف المُختلفة والاضطلاع بها جميعاً.. وبفضل تلك الوسائل الخلَّاقة تكتسب الكلماتُ نفسُها نوعاً من المُرُونة والطَّواعية؛ فتظلُّ قابلةً للاستعمالات الجديدة من غير أن تفقد معانيها القديمة.

- إنَّ قدرة الكلمة على التعبير عن مدلولاتٍ مُتعدِّدة إنَّما هي خاصيَّة من الخواصِّ الأساسية للكلام الإنسانيِّ، وإنَّ نظرةً واحدة في أي مُعجمٍ من مُعجمات اللغة لتُعطينا فكرةً وافية عن كثرة وُرُود هذه الظَّاهرة؛ بلْ إنَّ شحنة المعاني التي تحملُها بعضُ الكلمات لتدعو إلى الدَّهشة؛ ولا سيَّما تلك الأفعال الكثيرة الشُّيُوع والذُّيُوع؛ مثل: **(عمل)**، و**(قام)**، و**(وضع)**... الخ، وقد تعيش المدلولاتُ القديمة جنباً الى جنبٍ مع المدلولات الجديدة.
- تكون الدَّلالةُ مُكثَّفةً، مُتراكمةً، قابلةً للاتِّساع كلَّما كان اللَّفظ في التركيب عامَّاً، وكانت العلَّة فيه مُختفيةً غيرَ معروفة؛ وذلك أنَّ الارتباط الجامع بين الدَّالِّ ومدلوله كان عن طريق علَّةٍ جوهرية خفيَّة هي التي منحتْ لهذا الارتباط مُرُونته وٱتِّساعه، وأحدثتْ كلَّ هذا الامتداد المقصود في المجال الدَّلالي للَّفظ.. إذن يجبُ على العلَّة أن تختفيَ لمصلحة المعنى، أما إذا حدث العكسُ؛ فإنها ستقلِّص المعنى.. على أنَّ هذا التَّكثيف في المعنى أو ذاك التوسُّع في دلالات المفردات والتراكيب القرآنية المجيدة ليس كما يتبادر إلى الذِّهن لأوَّل وهلةٍ من أنه عدمُ وضوحٍ في المعنى، أو أنه غموضٌ في الدَّلالة؛ بلْ هو على العكس من ذلك تماماً؛ لأنَّ العبارة كلَّما كانتْ أغزر معنىً، وأعمق دلالةً؛ كانتْ مكمَنَ إيحاءٍ، ومبعَثَ جمال؛ ولا سيَّما إذا كانتْ هذه السَّعةُ في المعاني راجعةً إلى صورة كُلِّيَّة مُؤكَّدة من جوانب شتَّى يُعضِّد بعضُها بعضاً لرسم مشهدٍ تصويريٍّ في أداءٍ فنيٍّ رائع.
- هناك العديدُ من الألفاظ القرآنية الكُلِّيَّة التي تُشكِّل أغطيةً شفيفة تضمُّ تحتها العديد من الدَّلالات، مُشكِّلةً بدورها حقولاً دلاليةً ثرَّة.. وليس بالضَّرورة دائماً – لفهم مدلولات تلك الألفاظ – أن نُحدِّد حقول الأدلَّة على نحوٍ دقيق؛ بلْ – على العكس من ذلك تماماً – يعدُّ إبقاء حُكم العموم، وإطلاق تعدُّد الاحتمالات عليها ضرورةً لُغوية مُلحَّة ترسم لعالم اللغة القرآنية الفسيح إطاراً واسعاً ومقصوداً للتعامل مع حقيقة هذا المُصطلح أو ذاك؛ وذلك من أجْل ٱستنباط أكبر قدرٍ مُمكن من المعاني الواردة التي يحتملها النصُّ الكريم، والإفادة منها جميعاً.
- كما يوجد في اللغة مدلولٌ سطحيٌّ مُباشر يُمكنُ التوصُّل إليه بالاكتفاء باللَّفظ؛ يوجد فيها كذلك مدلولات أُخرى لا يُمكنُ للغة بمفردها النُّهُوض بها؛ لتفاوت مراتب إدراك هذا الصِّنف من المعاني، وعدم القدرة على إيجاد حدٍّ فاصل يحُدُّها؛ فهي مُتعلِّقة بفضاء النصِّ وما يُتيحه للمُتلقِّي من مجالٍ ٱنتقاليٍّ إلى باطن اللَّفظ لاستكناه مقاصده.. ومن هنا جاءت الحاجة إلى التفسير، ثمَّ التأويل، ثمَّ التأمُّل المُستند إلى التذوُّق المُنضبط والمبنيِّ على

السِّباحة في فضاء الخواطر وٱستشفاف الظِّلال؛ ذلك كلُّه لأنَّ طاقة اللغة على الإفصاح والإبانة قاصرة ومحدودة؛ إذ لا يُمكنُ أن يكون المعنى دائماً طافياً في ظاهر اللَّفظ.

- إنَّ لظاهرة إيحاء الألفاظ بأكثر من دلالتها الظَّاهرة – تكثيف المعنى – حُضُوراً فاعلاً في النصِّ القرآنيِّ وفي القصَّة القرآنية، شكَّلتْ هذه الظَّاهرة قيمةً فنِّيَّة تُشرِكُ المُتلقِّي في تمثُّل الثَّراء المعنويِّ للَّفظ.
- إنَّ التعامُل مع العلوم في المجالات كافَّة يُتوقَّع فيه المحدودية والقصور وبُلُوغ غايةٍ قصوى قد يقف عندها ولا يتعدَّاها، هذا أمرٌ واردٌ فيها، ويُمكنُ ٱستساغته وتقبُّله.. إلَّا التَّعامل مع مسائل الوحي؛ ولا سيِّما القرآن الكريم وتفسيرة والكشف عن دلالاته ومراميه؛ فإنه مُتجدِّد على الدَّوام، ولا يعرفُ للحدِّ حدَّاً؛ فلا يعتريه – بلْ لا يُمكنُ أن يعترِيَه ٱلبتَّة – أمرٌ من قبيل بُلُوغ غايةٍ معنوية؛ فهو لا يَخْلَق على كثرة الرَّدِّ، ولا تنقضي عجائبُه.

هوامش البحث

(١) مفتاح الباب المغلق، نقلاً عن: شذرات الذهب– دراسة في البلاغة القرآنية، ص١٢.

(٢) المرجع نفسه، نقلاً عن: شذرات الذهب – دراسة في البلاغة القرآنية، ص١٢.

(٣) سنن الترمذي، كتاب فضائل القرآن (باب ٢٥)، رقم الحديث: (٢٩٢٦)، (ج٥/ ص١٨٤)، قال: هذا حديث حسن غريب، وقال الألباني: ضعيف.

(٤) الرسالة: ص٥١– ٥٣، وينظر: الموافقات في أصول الشريعة (٢/١٠٣– ١٠٤).

(٥) نظم الدُّرر: (٦/٥٤٨).

(٦) من قضايا اللغة العربية المعاصرة: ص٢٧٥، وينظر: قال غير العرب عن العربية، ص١٢.

(٧) الرسالة: ص٤٢.

(٨) السَّاميُّون ولغاتهم: ص١٩٠، وينظر: اللسان العربي مظهر لغوي للمعجزة الإلهية الخالدة (القرآن الكريم)، مجلَّة الضَّاد (العدد الرابع – ١٤١٠هـ/١٩٩٠م): ص٣٧– ٣٨.

(٩) ينظر: البحث الدلالي في إرشاد العقل السليم، ص١١٠.

(١٠) المُراد بـ(**المقام**): جملة العناصر غير اللغوية المكونة للموقف الكلامي؛ وبذلك يشمل مجموع الناس المشاركين في الكلام من حيث الجنس، والعمر، والألفة، والتربية، والانتماء الاجتماعي والثقافي والمهني، والإيحاءات والإشارات العضوية التي تصدر منهم.. وغير

ذلك، كما يشمل ظروف الزمان والمكان التي يؤدى بها الحدث الكلامي وتؤثر فيه، والعلاقات الاجتماعية والسياسية والدينية والتاريخية والفكرية، والعناصر الأخرى التي تؤثر في الكلام وفي غايته!! فـ(**المقام**) – إذن – هو كلُّ العناصر الخارجية التي تحيط بالكلام، وتشارك السِّياق اللغوي في تكوين المعنى الدلالي [ينظر: المعنى اللغوي وعناصر تحديده في ضوء الدرس اللغوي الحديث: ص١٣١].

(١١) دور الكلمة في اللغة: ص١١٤– ١١٥، وينظر: الألفاظ المعبرة عن الكلام في التعبير القرآني، ص٥، والألفاظ المشتركة المعاني في اللغة العربية: ص٢٨، (عن مجلَّة جامعة أم القرى)، العدد (٢١)، المجلد (١٣)، (٧/ ١٠٧).

(١٢) اللغة، لفندريس: ص٢٥٤.

(١٣) ينظر: علم الدلالة – أصوله ومباحثه في التراث العربي: ص١١٧، و٢٤١، وعلم الدلالة، لعمر: ص٦٩، واللسانيات واللغة العربية: ص٣٧٢.

(١٤) ينظر: اللغة العربية– معناها ومبناها: ص٣٣٧، و٣٥١– ٣٥٢، والإعراب (محاولة جديدة لاكتناه الظاهرة): ص٢١٩– ٢٢٢، والنحو والدلالة: ص١١٤– ١١٥، والمعنى اللغوي وعناصر تحديده في ضوء الدرس اللغوي الحديث: ص١٢٩– ١٣٢، وأسباب التعدُّد في التحليل النحوي: ص٣٢– ٣٦.

(١٥) الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم: ص٤٦٩.

(١٦) ينظر: ص١١٨– ١١٩.

(١٧) سُورَةُ القَمَرِ : الآيات: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠.

(١٨) النبأ العظيم: ص١٤٧– ١٤٨.

(١٩) ينظر: في ظلال القرآن (٣/١٧٨٦– ١٧٨٧)، والإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم: ص٤٦٧– ٤٦٨.

(٢٠) مجلة المورد – المجلد (٥)، العدد (٢)، ص٤٣، وينظر: قال غير العرب عن العربية، ص٨.

(٢١) ينظر: دور الكلمة في اللغة: ص١١٦– ١١٧، ونظرية النقد وتطورها إلى عصرنا: ص٢٠٢، والألفاظ المشتركة المعاني في اللغة العربية/ ص٢٨.

(٢٢) اللسانيات واللغة العربية: ص٢٠٦، وينظر: ص٣٧٤، وعلم الدلالة – أصوله ومباحثه في التراث العربي: ص٢٠٤– ٢٠٥، و٢١٤، و٢٤١.

(٢٣) علم الدلالة، لجيرو: ص٩٩، وينظر: علم الدلالة – أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص٩٠– ٩٢.

(٢٤) ينظر: اللغة والمجتمع: ص٩١.

(٢٥) ينظر: التفسير اللغوي: ص٤٩١.

(٢٦) ينظر: المرجع نفسه: ص٥٩١.

(٢٧) ينظر: المرجع السابق: ص٢٠٤.

(٢٨) منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث: ص١٣٨، وينظر: ظاهرة المشترك اللفظي ومشكلة غموض الدلالة: ص٦٤، والبحث الدلالي في إرشاد العقل السليم: ص١٢٠.

(٢٩) ينظر: مقدمة التفسير، ص٨٠– ٨١، ودلائل الإعجاز: ص١٥– ٢١.

(٣٠) وفي هذا السِّياق يقول أبو عثمان عَمْرو بن بحر الجاحظ رحمه الله في كتابه **(البيان والتبيين)**: «... ثمَّ إنَّ حُكم المعاني خلافُ حُكم الألفاظ؛ لأنَّ المعاني مبسوطة إلى غير نهاية، ومُمتدَّة إلى غير نهاية، وأسماء المعاني – ويعني بها الألفاظ – مقصورة معدودة، ومُحصَّلة محدودة» [(٥٥/١)، وينظر: المزهر (٣٦/١)]، ويُعقِّب الدكتور منقور عبد الجليل في بحثه القيِّم **(علم الدلالة – أصوله ومباحثه في التراث العربي)** على كلام الجاحظ آنف الذكر بالقول: «إنَّ الألفاظ – على نقيض المعاني– مُتناهية، محدودة؛ لأنها مُشكَّلة من أصوات، والصَّوت محدودٌ، معدودٌ؛ ولذلك كانت المعاني ممَّا يتوصَّل إليها بأشكال مختلفة من الألفاظ.. فاللغة قاصرةٌ عن أن تحيط بعالم المُتكلِّم أو بالعوالم الدَّلالية» [ص١٦٣، وينظر: ص١٧١، والبحث الدلالي في نظم الدرر: ص١٣٣].

ويقول شيخُ البلاغيين عبد القاهر الجرجاني رحمه الله (ت٤٧١هـ): «إنَّ الألفاظ إذا كانت أوعية للمعاني؛ فإنها لا محالة تتبع المعاني في مواقعها.. فإذا وجب لمعنىً أن يكون أولاً في النفس؛ وجب اللفظُ الدَّالُّ عليه أن يكون مثله أولاً في النطق... وذلك أنه لو كانت المعاني تكون تبعاً للألفاظ في ترتيبها؛ لكان مُحالاً أن تتغيَّر المعاني، والألفاظ بحالها لم تزُلْ

عن ترتيبها.. فلما رأينا المعاني قد جاز فيها التغيُّر من غير أن تتغيَّر الألفاظ وتزول عن أماكنها؛ علمنا أنَّ الألفاظ هي التابعة، والمعاني هي المتبوعة» [دلائل الإعجاز/ ص٥٨، وينظر: ص٢٨١، والمثل السائر (١٩١/١)، والنقد اللغوي عند العرب: ص٢٩٢].

إنَّ أهم ما نلحظه من خلال سبر النصِّ السابق هو أنَّ الشيخ الجرجاني يمنح الأسبقية للمعاني في الوُجُود النفسي، والألفاظ تابعة وخادمة لها في الواقع الكلامي، وهذا يُفسِّر لا نهائية المعاني التي أقرَّها علماء الدلالة المُحدثون مقابل إثبات نهائية الألفاظ، واستخلصوا أنَّ المُتكلِّم يلجأ لذلك – في غالب الأحيان – إلى توظيف ظاهرة الانزياح الدلالي لسدِّ ثغرة دلالية لا يستطيع المُعجم ملأها، وهو «احتيالٌ من الإنسان على اللغة وعلى نفسه؛ لسدِّ قصوره وقصورها معاً؛ لأنَّ الإنسان عاجزٌ عن الإحاطة باللغة وطرائقها، مثلما هي عاجزة عن نقل كلِّ ما في نفسه!!» [نظرية النقد وتطوُّرها إلى عصرنا: ص٢٠٢، وينظر: الإحكام في أصول الأحكام (٤٢/١)، وعلم الدلالة – أصوله ومباحثه في التراث العربي: ص٢٠٤–٢٠٥، و٢١٤، و٢٧٣].

إذن؛ فالعوالم الدلالية (**المعاني**) لا تعرف المحدودية.. في حين إنَّ الأدوات الدَّالَّة على بعض هذه العوالم (**الألفاظ**) معلومة، مُحدَّدة؛ سواء اللغوية منها أو غير اللغوية؛ فالمعاني غير متناهية، وما يزال الإنسان يضع للمعاني التي توصَّل إلى إدراكها حديثاً الألفاظ التي تدلُّ عليها.

(٣١) ينظر: البحث الدلالي عند الراغب: ص٢٠٩– ٢١٠، والمستصفى (١٩٨/١)، والمزهر (٣٦٩/١)، وأصول علم النفس: ص٣٣٩، والألفاظ المشتركة المعاني في اللغة العربية: ص٢٩، (عن مجلة جامعة أم القرى)، العدد (٢١)، المجلَّد (١٣)، (١٠٨/٧).

(٣٢) ينظر: علم الدلالة – أصوله ومباحثه في التراث العربي: ص٢٠٤.

(٣٣) قواعد التدبر الأمثل: ص٥٦٧– ٥٧٠.

(٣٤) مقدمة الصحاح: ص١٠.

(٣٥) ينظر: تهذيب اللغة (٢٦٩/٣)، والصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية (٢٦٦/١)، والمفردات في غريب القرآن (٢٠١/١– ٢٠٢)، ولسان العرب (٣٣١/١٤)، ولمسات بيانية في نصوص من التنزيل: ص٢٠٥.

[٣٦] ينظر: المصدر نفسه (٣٢٦/٣)، والصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية (٣٢٣/١)، ومقاييس اللغة (٨٩/٣)، وأساس البلاغة (٢٢٢/١)، ولسان العرب (٣٧٢/٤)، وعُمدة الحُفَّاظ في تفسير أشرف الألفاظ (٢٠٧/٢)، وتاج العروس من جواهر القاموس (١/ ٢٩٥٧).

[٣٧] قواعد التدبر الأمثل: ص٥٧٣- ٥٧٤.

[٣٨] يقال للماضي: **(غابر)**؛ تصوراً لمضي الغبار، وقيل للباقي: **(غابر)**؛ تصوراً بتخلف الغبار وما كان على لونه [ينظر: عُمدة الحُفَّاظ في تفسير أشرف الألفاظ (١٥٠/٣-١٥١)، والنكت والعيون (٥/ ٦٦)].

[٣٩] قواعد التدبر الأمثل: ص٥٧٦- ٥٧٧.

[٤٠] جاء في **(الكشاف)**: «ومن المكابدة أن مثلك على عظم حرمتك يستحل بهذا البلد الحرام كما يستحل الصيد في غير الحرم... يحرمون أن يقتلوا بها صيداً ويعضدوا بها شجرة، ويستحلون إخراجك وقتلك!!» [(٧٥٧/٤)، وينظر: مفاتيح الغيب: (١٨٠/٣١)، والبحر المحيط: (٤٧٤/٨)، وروح المعاني: (١٣٣/٣٠)].

[٤١] ينظر: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص٢٢٤- ٢٢٨.

[٤٢] روح المعاني: (١٣٤/٣٠)، وينظر: مفاتيح الغيب، (١٨١/٣١).

[٤٣] قواعد التدبر الأمثل: ص٤٨٦.

[٤٤] لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص٢٢٧- ٢٢٨.

[٤٥] عُمدة الحُفَّاظ في تفسير أشرف الألفاظ (٣/ ٥٩)، وينظر أيضاً: (٢١٩/٤).

[٤٦] وهي قراءة أبن محيصن [ينظر: القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب: ص٨٢].

[٤٧] علم الدلالة، لجيرو: ص٥٠، وينظر: اللسانيات وأسسها المعرفية، ص٧٤، وعلم الدلالة – أصوله ومباحثه في التراث العربي: ص٧٩- ٨٠، والتفسير البياني للتراكيب القرآنية ذوات الدلالات الاحتمالية: ص١١٢.

[٤٨] ينظر: التفسير اللغوي، ص٦٧٧.

[٤٩] ينظر: علم الدلالة – أصوله ومباحثه في التراث العربي: ص٢٩١.

[٥٠] النبأ العظيم: ص١٦٢.

(٥١) ينظر: التفسير القيم، (٢/ ٢٠٨)، وأسرار البيان في التعبير القرآني: ص١١١.

(٥٢) ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل، (١٢٦/٢)، والدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري: ص٣٦٨.

(٥٣) ينظر: البنى النحوية وأثرها في المعنى، ص٢٧٩- ٢٨٣.

(٥٤) ينظر: روح المعاني (٢٤١/٤)، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم: (١١٥/٣- ١١٦)، والبنى النحوية وأثرها في المعنى: ص٢٩٣- ٢٩٤.

(٥٥) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١٢٠/١).

(٥٦) ينظر: التفسير البياني للتراكيب القرآنية ذوات الدلالات الاحتمالية: ص١٦٠- ١٦١.

(٥٧) مباحث في علوم القرآن، للصالح: ص٣٠٩، وينظر: البرهان في علوم القرآن (٢١١/٢)، والإتقان في علوم القرآن (٤٩/٢).

(٥٨) في ظلال القرآن (١٦١/٥).

(٥٩) الكشاف عن حقائق التنزيل (١٢٤/٣).

(٦٠) ينظر: المثل السائر، (٧٢/٣)، والبحر المحيط: (٣٢٠/٦)، ومن بلاغة القرآن، لبدوي/ ص٢٢٨، والتفسير البياني للتراكيب القرآنية ذوات الدلالات الاحتمالية: ص١٦٣- ١٦٥.

(٦١) تفسير المنار: (١٣٨/١٢).

(٦٢) ينظر: مفاتيح الغيب، (٣٩/١٨)، والبحر المحيط: (٢٥٠/٥)، ونظم الدرر: (٣٤٧/٩)، وفي ظلال القرآن: (٢٥٧/٤)، والتفسير البياني للتراكيب القرآنية ذوات الدلالات الاحتمالية: ص١٦٧- ١٦٩، والضمائر في العربية: ص٤٠.

(٦٣) ينظر: المصدر نفسه، (١١١/١٧)، والبحر المحيط: (١٦٨/٥)، والتفسير البياني للتراكيب القرآنية ذوات الدلالات الاحتمالية: ص١٦٩- ١٧٠.

(٦٤) مفاتيح الغيب: (١٤/٦)، وينظر: التفسير البياني للتراكيب القرآنية ذوات الدلالات الاحتمالية، ص١٧١.

(٦٥) ص٦٩٥- ٧٠٥.

(٦٦) ينظر: قواعد التدبر الأمثل، ص٦٩٧- ٧٠٧.

(٦٧) ينظر: التفسير البياني للتراكيب القرآنية ذوات الدلالات الاحتمالية، ص١٨١- ١٨٢.

[٦٨] الوافية في شرح الكافية: (٤٧٢/٢).

[٦٩] المصدر نفسه: (٢٣/٢).

[٧٠] التحرير والتنوير: (١٣٤/٨).

[٧١] ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، ص٣٨، والبحر المحيط (٢٩٩/٤)، ومعترك الأقران (٢٧٢/٣)، وتفسير المنار (٤٢٢/٨)، ومعاني النحو (٩٥/١)، والتفسير البياني للتراكيب القرآنية ذوات الدلالات الاحتمالية: ص١٨٣.

[٧٢] شرح المفصل: (١٣٦/٣).

[٧٣] الجامع لأحكام القرآن: (١٥/١٧)، وينظر: النكت والعيون، (٣٤٩/٥).

[٧٤] ينظر: المفردات في غريب القرآن، (١٥٦/٢).

[٧٥] في ظلال القرآن: (١٩/٧).

[٧٦] مفاتيح الغيب: (١٤٢/٢٨).

[٧٧] ينظر: التفسير البياني للتراكيب القرآنية ذوات الدلالات الاحتمالية: ص١٩٢- ١٩٣.

[٧٨] أي: تزيد عليها.

[٧٩] الحيوان: (٢٠١/٥).

[٨٠] المصدر نفسه (٥٠/١).

[٨١] ينظر: البيان والتبيين (٧٧/١- ٧٨)، والتفسير البياني للتراكيب القرآنية ذوات الدلالات الاحتمالية: ص٨٠- ٨٣.

[٨٢] التفكير البلاغي عند العرب: ص١٧٢.

[٨٣] ينظر: مقاييس اللغة (٩٤/٣)، والتصوير الفني: ص٧٩، والبنى والدلالات في لغة القصص القرآني: ص٢٧٦.

[٨٤] الاستعارة في القرآن الكريم: ص٦٩.

[٨٥] البنى والدلالات في لغة القصص القرآني: ص٢٧٦.

[٨٦] ينظر: التفسير البياني للتراكيب القرآنية ذوات الدلالات الاحتمالية/ ص١٤٦- ١٤٧.

[٨٧] ينظر: مناهل العرفان (٢/ ٧٨- ٨٤)، والتفسير والمفسرون (٤/ ٣١٣- ٣٤٦)، ومباحث في علوم القرآن، للصالح: ص٢٩٦ و٣٧٩، وتطور تفسير القرآن: ص١٥٤- ١٥٥،

ومباحث في علوم القرآن، للقطان: ص٣٦٧- ٣٦٩، والتفسير الإشاري- ماهيته وضوابطه: ص٦٢، والبحث الدلالي في لطائف الإشارات: ص٢٠.

(٨٨) أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس التُّستْري (ت٢٨٣هـ)، أحد أئمة الصوفية وعلمائهم والمتكلِّمين في علوم الإخلاص والرياضيات وعيوب الأفعال [ينظر: الأعلام، للزركلي (٣/ ١٤٣)].

(٨٩) أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الأزدي السلمي النيسابوري (ت٤١٢هـ)، من علماء المتصوِّفة [ينظر: الأعلام، للزركلي (٩٩/٦).

(٩٠) أبو محمد صدر الدين روزبهان بن أبي النصر الفسوي، الشيرازي، الكازروني، البقلي (ت٦٠٦هـ)، صوفيٌّ من أهل شيراز [ينظر: الأعلام، للزركلي (٣٥/٣)].

(٩١) ينظر: البيان والتبيين، ص٢٨٨، وعلم البديع: ص١٧٥، وٱستقبال النص عند العرب: ص٤٢، والنص القرآني من الجملة إلى العالم: ص٥٧، والتفسير البياني للتراكيب القرآنية ذوات الدلالات الاحتمالية: ص٢٠٣- ٢٠٤.

(٩٢) ينظر: قواعد التدبر الأمثل، ص٥٧، وبحوث في أصول التفسير ومناهجه: ص١١٠.

(٩٣) في ظلال القرآن (٣٣٩٩/٦).

(٩٤) المصدر نفسه (٢٠٣٨/٤).

(٩٥) ينظر: بحوث في أصول التفسير ومناهجه، للرومي: ص١١١- ١١٢، وٱتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (٩٨٣/٣- ٩٨٤).

(٩٦) الفكر الديني في مُواجهة العصر: ص٥٤، وينظر: مداخل جديدة للتفسير، ص١٢٢، والنص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة: ص٨٦.

(٩٧) ينظر: مداخل جديدة للتفسير، ص١١- ١٢.

(٩٨) قواعد التدبر الأمثل: ص٥٩، وينظر: مجموع الفتاوى (١٣/ ١٧٨- ١٩٠)، والموافقات في أصول الشريعة (٢١١/٥- ٢١٦)، والتفسير والمفسرون (١٤/٣- ١٦)، والتفسير اللغوي: ص٥٩١- ٦٠٥، و٦٤١، والمعنى القرآني في ضوء ٱختلاف القراءات: ص٢- ٣، و٢٧- ٢٩، الاختلاف في التفسير- حقيقته وأسبابه: ص١٥- ١٨.

(٩٩) كقوله ﷻ: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴿٢٢٨﴾ ﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ] في دلالة لفظ (القرء) على الحيض والطهر.. وكقوله ﷻ: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ] في دلالة فعل الرغبة على المحبة والكراهية كليهما.. وكقوله ﷻ: ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ ﴾ [سُورَةُ التَّكْوِيرِ] في دلالة لفظ (عسعس) على معنى الإقبال والإدبار... الخ.

(١٠٠) قواعد التدبر الأمثل: ص٦٠.

(١٠١) التفسير والمفسرون (٣/١٤-١٦)، وينظر: مجموع الفتاوى (١٣/١٧٨-١٩٠)، والموافقات في أصول الشريعة (٥/٢١١-٢١٦)، والتفسير اللغوي، ص٥٩١- ٦٠٥، والمعنى القرآني في ضوء ٱختلاف القراءات/ ص٢-٣، و٢٧- ٢٩، الاختلاف في التفسير- حقيقته وأسبابه: ص١٥- ١٨.

(١٠٢) ينظر: النكت والعيون (١/١٩٧).

(١٠٣) تفسير القرآن العظيم (١/٤٥٢).

(١٠٤) قواعد التدبر الأمثل: ص٦١.

(١٠٥) ينظر: صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن (باب تفسير قوله عز وجل: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ ﴾)، رقم الحديث: (٤٤٢)، (ج٤/ ص١٨٩٢).

(١٠٦) قواعد التدبر الأمثل، ص٦٢.

(١٠٧) ينظر: جامع البيان (٢٣/٦١٠- ٦١١).

(١٠٨) قواعد التدبر الأمثل: ص٦٣.

(١٠٩) يقال: (طريق مَهْيَع)؛ على زنة (مَفْعَل)؛ أي: واضح، واسع، بين، صواب؛ من التهيع وهو الانبساط [ينظر: العين (٢/١٧٠)، ومقاييس اللغة (٦/٢٥)، ولسان العرب (٨/٣٧٨)، والقاموس المحيط (١/٩٨٨)، وتاج العروس من جواهر القاموس (٢٢/٢٢٢)].

(١١٠) التحرير والتنوير (المقدمة التاسعة – في أن المعاني التي تتحملها جمل القرآن، تعتبر مرادة بها)، (١/ ٩٧- ١٠٠).

(١١١) النبأ العظيم: ص١٥١- ١٥٢.

(١١٢) أي: لينقر عنه، وليفكر في معانيه، وليتأمل في هداياته، وليتدبَّر في دلالاته وإيحاءاته.

(١١٣) المُعجم الكبير، باب العين (عبد الله بن مسعود الهذلي ﷺ)، رقم الحديث: (٨٦٨٥)، (ج٩/ ص١٣٦)، وينظر: شعب الإيمان، الباب التاسع عشر من شعب الإيمان؛ وهو باب في تعظيم القرآن (فصل في تعلُّم القرآن)، رقم الحديث: (١٩٦٠)، (ج٢/ ص٣٣١)، وكنز العمال، حرف الهمزة – الكتاب الثاني: في الأذكار من قسم الأقوال (الباب السابع: في تلاوة القرآن وفضائله، الفصل الأول: في فضائل تلاوة القرآن)، رقم الحديث: (٢٤٥٣)، (ج١/ ص٥٤٨).

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. **الإتقان في علوم القرآن:** جلال الدين السُّيوطي (ت٩١١هـ)، دار الإيمان (الإسكندرية)، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٢. **الاختلاف في التفسير– حقيقته وأسبابه:** د. وسيم فتح الله، عن موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، (ب. ت).

٣. **أسباب التعدُّد في التحليل النحوي:** د. محمود حسن الجاسم (جامعة حلب/ كلية الآداب/ قسم اللغة العربية)، عن موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، (ب. ت).

٤. **الاستعارة في القرآن الكريم (رسالة ماجستير):** أحمد فتحي رمضان، إشراف: د. جليل رشيد فاتح، جامعة الموصل/ كلية الآداب (قسم اللغة العربية)، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٥. **أسرار البيان في التعبير القرآني:** أ.د. فاضل صالح السامرائيّ، عن موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، (ب. ت).

٦. **أُصول علم النفس:** د. أحمد عزَّت راجح، دار المعارف (القاهرة)، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٧. **الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم:** جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود، عن موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، (ب. ت).

٨. **الألفاظ المشتركة المعاني في اللغة العربية – طبيعتها، أهميتها، مصادرها:** د. أحمد محمد المعتوق، بحثٌ منشور في مجلَّة جامعة أُمِّ القرى، العدد (٢١)، المُجلَّد (١٣)، رمضان ١٤٢١هـ/ كانون الأول ٢٠٠٠م.

٩. **الألفاظ المُعبِّرة عن الكلام في التعبير القرآني (رسالة ماجستير):** نبراس حسين مهاوش العزَّاوي، إشراف: د. حسن منديل العكَيلي، جامعة بغداد/ كلية التربية للبنات (قسم اللغة العربية)، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

١٠. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل، الشهير بـ(تفسير البيضاويّ):** الإمام أبو سعيد البيضاويّ (ت٦٨٥هـ)، دار الكتب العلمية (بيروت)، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١١. **الإيضاح في علوم البلاغة (مُختصر التلخيص في علوم البلاغة):** أبو المعالي جلال الدين القزوينيّ (ت٧٣٩هـ)، تحقيق: الشيخ بهيج غزَّاوي، دار إحياء العلوم (بيروت)، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

١٢. **البحث الدلالي عند الراغب الأصفهانيّ (رسالة ماجستير):** محمود مصطفى أحمد القويدر، إشراف: د. ندى عبد الرحمن الشايع، الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب (قسم اللغة العربية)، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

١٣. **البحث الدلالي في (إرشاد العقل السليم)، لأبي السُّعُود العماديّ (ت٩٨٢هـ)، (أُطروحة دكتوراه):** زينب عبد الحسين بلال السُّلطاني، إشراف: أ. د. كريم حسين ناصح الخالدي/ جامعة بغداد – كلية التربية للبنات (قسم اللغة العربية)، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

١٤. **البحث الدلالي في (لطائف الإشارات)، للقشيريّ (ت٤٦٥هـ)، (رسالة ماجستير):** عقيل عكموش عبد، جامعة القادسية – كلية الآداب (قسم اللغة العربية)، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

١٥. **البحث الدلالي في (نظم الدُّرَر)، للبقاعيّ (ت٨٨٥هـ)، (أُطروحة دكتوراه):** عزيز سليم علي القريشي، إشراف: أ.م.د. لطيفة عبد الرَّسول عبد/الجامعة المستنصرية – كلية التربية (قسم اللغة العربية)، جمادى الآخرة ١٤٢٥هـ/ آب ٢٠٠٤م.

١٦. **البحر المُحيط:** أبو حيَّان الأندلسيّ (ت٧٤٥هـ)، مراجعة: صدقي محمد جميل، دار الفكر (بيروت)، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

١٧. **بُحُوث في أُصُول التفسير ومناهجه:** أ.د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الروميّ، مكتبة التَّوبة (بلا مكان، ولا تاريخ نشر).
١٨. **البُرهان في علوم القرآن:** الإمام أبو عبد الله بدر الدين الزركشيّ (ت٧٩٤هـ)، تقديم وتعليق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الفكر (بيروت)، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
١٩. **البنى النحوية وأثرها في المعنى (أُطروحة دكتوراه):** أحمد عبد الله حمُّود العاني، إشراف: د. هدى محمد صالح الحديثي، جامعة بغداد/ كلية الآداب (قسم اللغة العربية)، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.
٢٠. **البنى والدلالات في لغة القصص القرآنيّ- دراسة فنية (أُطروحة دكتوراه):** عماد عبد يحيى، إشراف: أ.م.د. عبد الوهَّاب محمد علي العدواني، جامعة الموصل – كلية الآداب (قسم اللغة العربية)، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
٢١. **البيان والتبيين:** أبو عُثمان عَمْرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي (القاهرة)، ط٧، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
٢٢. **تاج العروس من جواهر القاموس:** أبو الفيض مُرتضى الحسيني الزَّبيدي (ت١٢٠٥هـ)، دار الفكر (بيروت)، (ب. ت).
٢٣. **التحرير والتنوير، الموسوم بـ(تحرير المعنى السَّديد وتنوير العقل الجديد):** محمد الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، ط٣١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٤م.
٢٤. **التصوير الفني في القرآن:** الإمام الشهيد سيِّد قطب بن إبراهيم حسين بن شاذلي (ت١٣٨٥هـ/١٩٦٦م)، دار المعارف (القاهرة)، (ب. ت).
٢٥. **تطوُّر تفسير القرآن – قراءة جديدة:** أ. د. محسن عبد الحميد أحمد، مديرية دار الكتب – جامعة الموصل، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
٢٦. **التفسير الإشاري – ماهيته وضوابطه (رسالة ماجستير):** مشعان سعود العيساوي، جامعة بغداد – كلية العلوم الإسلامية (قسم الشريعة)، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
٢٧. **التفسير البياني للتراكيب القرآنية ذوات الدلالات الاحتمالية (أُطروحة دكتوراه):** نوَّار محمد إسماعيل الحيالي، إشراف: أ. م. د. عماد عبد يحيى الحيالي، جامعة الموصل – كلية الآداب (قسم اللغة العربية)، مُحرَّم ١٤٢٥هـ/ شباط ٢٠٠٤م.

٢٨. **تفسير القرآن العظيم، الشهير بـ(تفسير ابن كثير)**: أبو الفداء إسماعيل ابن كثير (ت٧٧٤هـ)، دار المعرفة (بيروت)، ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٢٩. **التفسير اللغوي للقرآن الكريم (أصله أطروحة دكتوراه)**: د. مُساعد بن سليمان بن ناصر الطَّيَّار، دار ابن الجوزي (الدَّمَّام)، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٣٠. **التفسير والمفسِّرون**: أ.د. محمد حسين الذهبي (ت١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)، دار القلم (بيروت)، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٣١. **التفكير البلاغي عند العرب- أُسُسه وتطوُّره إلى القرن السادس الهجري**: حمَّادي حمُّود، الجامعة التُّونسية (تونس)، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٣٢. **تهذيب اللغة**: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهريّ، الهروي (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: الأُستاذ محمد عبد المنعم خفاجي، والأُستاذ محمد فرح العقدة، مراجعة: الأُستاذ محمد علي البيجاوي، (بلا معلومات نشر).

٣٣. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الشهير بـ(تفسير الطبري)**: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: الأُستاذ محمود محمد شاكر، والأُستاذ أحمد محمد شاكر/ دار المعارف (القاهرة)، ط٢، (ب. ت).

٣٤. **الجامع الكبير، الشهير بـ(سنن التِّرمذي)**: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة التِّرمذيّ (ت٢٧٩هـ)، تحقيق: الأُستاذ أحمد محمد شاكر، دار الفكر (بيروت)، ط١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٣٥. **الجامع لأحكام القرآن، الشهير بـ(تفسير القرطبي)**: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد القرطبي، المالكي (ت٦٧١هـ)، دار الكتاب العربي (القاهرة)، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

٣٦. **الحيوان**: أبو عثمان عَمْرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح: عبد السَّلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي (القاهرة)، ط١، ١٩٣٨م.

٣٧. **دراسات لأُسلوب القرآن الكريم**: الأُستاذ الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة، مطبعة السعادة (القاهرة)، ط١، ١٩٧٣م.

٣٨. **الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري**: أ.د. فاضل صالح السامرائي، مطبعة الإرشاد (بغداد)، ط١، ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م.

٣٩. **دلائل الإعجاز**: عبد القاهر الجُرجانيّ (ت٤٧١هـ)، تحقيق: د. محمد التنجي، دار الكتاب العربي (بيروت)، ط١، ١٩٩٥م.

٤٠. **دور الكلمة في اللغة**: ستيفن أولمان «Stephen Ullmann»، ترجمة وتعليق: أ. د. كمال محمد بِشْر، مكتبة الشباب (القاهرة)، ط١٠، ١٩٨٦م.

٤١. **الرسالة**: الإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت٢٠٤هـ)، تحقيق: الأُستاذ أحمد محمد شاكر، مكتبة مصطفى البابي الحلبي (القاهرة)، ١٣٥٨هـ.

٤٢. **رُوح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الشهير بـ(تفسير الآلوسي)**: أبو الثناء الآلوسي، البغدادي (ت١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، ط٢، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٤٣. **الساميون ولغاتهم- تعريف بالقرابات اللغوية والحضارية**: د. حسن ظاظا، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة)، ط٢، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٤٤. **شذرات الذهب – دراسة في البلاغة القرآنية**: أ. د. محمود توفيق محمد سعد، مكتبة وهبة (القاهرة)، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٤٥. **شُعب الإيمان**: الإمام أبو بكر البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد سعيد بسيوني زغلول/ دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

٤٦. **الصِّحاح (تاج اللغة وصِحَاح العربية)**: أبو نصر إسماعيل بن حمَّاد الجوهريّ (ت٣٩٣هـ)، تحقيق: الأُستاذ أحمد عبد الغفور عطَّار، دار العلم للملايين (بيروت)، ط١، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

٤٧. **صحيح البُخاري (الجامع الصحيح)**: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البُخاريُّ، الجُعفي (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: مُصطفى ديب البغا، دار ٱبن كثير (بيروت)، ط٣، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٤٨. **الضمائر في العربية**: د. محمد عبد الله جبر، دار المعارف (القاهرة)، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٤٩. **ظاهرة المشترك اللفظي ومشكلة غموض الدلالة:** أ.د. أحمد نصيف الجنابي، بحثٌ منشور في مجلَّة المَجْمَع العلمي العراقي- المجلَّد (٣٥- ج٤)، مُحرَّم ١٤٠٥هـ/ تشرين الأول ١٩٨٤م.

٥٠. **علم الدلالة:** أ.د. أحمد مُختار عمر، مكتبة دار العروبة (الكويت)، ط١، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٥١. **علم الدلالة:** المُستشرق الفرنسي بيير جيرو (Piere Giraud)، ترجمة: د. منذر عيَّاشي، وأنطوان أبو زيد، دار طلاس للدِّراسات (دمشق)، ط١، ١٩٨١م.

٥٢. **علم الدلالة- أُصُوله ومباحثه في التراث العربي:** د. منقور عبد الجليل، موقع اتِّحاد الكُتَّاب العرب على شبكة الإنترنت، مكتبة الأسد (دمشق)، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٥٣. **عُمدة الحفَّاظ في تفسير أشرف الألفاظ (مُعجمٌ لغويٌّ لألفاظ القرآن الكريم):** أبو العبَّاس شهاب الدِّين أحمد بن يوسف بن عبد الدَّايم السَّمين الحلبي (ت٧٥٦هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٥٤. **العين:** أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ)، تحقيق: الأُستاذ الدكتور مهدي المخزومي، والأُستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي، دار الرشيد (بغداد)، ١٩٨٠- ١٩٨٢م.

٥٥. **الفكر الديني في مُواجهة العصر:** عفَّت محمد الشَّرقاوي، مكتبة الشباب (القاهرة)، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

٥٦. **في ظِلال القرآن:** الإمام الشَّهيد سيِّد قطب بن إبراهيم حسين بن شاذلي (ت١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م)، دار الشُّروق (بيروت)، (القاهرة)، ط١٧، ١٤١٢هـ.

٥٧. **قواعد التَّدبُّر الأمثل لكتاب الله عزَّ وجلَّ:** تأمُّلات الشَّيخ عبد الرَّحمن حسن حبنكة الميداني/ دار القلم (دمشق)، والدار الشَّامية (بيروت)، ط٤، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

٥٨. **الكشَّاف عن حقائق التنزيل وعُيُون الأقاويل في وُجُوه التأويل، الشهير بـ(تفسير الزمخشري):** أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد جار الله الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، دار المعرفة (بيروت)، ط٣، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م.

٥٩.**لسان العرب:** أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن منظور الإفريقي، المصري (ت٧١١هـ)، دار الفكر (بيروت)، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
٦٠.**اللسان العربي مظهر لغوي للمعجزة الإلهية الخالدة (القرآن الكريم):** د. هادي نهر، بحثٌ منشور في مجلَّة الضَّاد – الجزء الرابع، ذو الحجَّة ١٤١٠هـ/ تموز ١٩٩٠م.
٦١.**اللسانيات وأُسُسها المعرفية:** د. عبد السلام المسدِّي، الدار العربية للكتاب (طرابلس)، ط٢، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
٦٢.**اللسانيات واللغة العربية– نماذج تركيبية ودلالية:** د. عبد القادر الفاسي الفهري، منشورات عويدات (بيروت)، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
٦٣.**اللغة:** الأُستاذ جوزيف فندريس «Joseph Vendryes»، تعريب: عبد الحميد الدواخلي، والدكتور محمد القصَّاص، مطبعة لجنة البيان العربي (القاهرة)، ١٩٥٠م.
٦٤.**اللغة العربية – معناها ومبناها:** أ.د. تمَّام حسَّان، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة)، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
٦٥.**لمسات بيانية في نُصُوصٍ من التنزيل:** أ.د. فاضل صالح السامرائي، دار الشؤون الثقافية (بغداد)، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
٦٦.**مباحث في علوم القرآن:** أ. د. صُبحي الصَّالح (ت١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، دار العلم للملايين (بيروت)، ط١٨، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
٦٧.**مباحث في علوم القرآن:** د. منَّاع القطَّان، مكتبة المعارف (بيروت)، ط٣، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
٦٨.**المثل السَّائر في أدب الكاتب والشَّاعر:** أبو الفتح ضياء الدين بن الاثير الكاتب (ت٦٣٧هـ)، تحقيق: محمد مُحيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية (بيروت)، ١٩٩٥م.
٦٩.**المُزهر في علوم اللغة وأنواعها:** أبو بكر جلال الدِّين السُّيوطي (ت٩١١هـ)، شرح وضبط: محمد أحمد جاد المولى، ومحمد أبو الفضل أبراهيم، وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية (بيروت)، ١٩٨٦م.
٧٠.**معاني النحو:** أ. د. فاضل صالح السامرائي، مطبعة التعليم العالي (الموصل)، بيت الحكمة (بغداد)، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٧١. **المعنى القرآني في ضوء أختلاف القراءات:** أ.د. أحمد سعد الخطيب، شبكة التفسير والدراسات القرآنية على الإنترنت (net.tafsir.www)، (ب. ت).

٧٢. **المعنى اللغوي وعناصر تحديده في ضوء الدرس اللغوي الحديث:** د. فارس محمد عيسى، بحثٌ منشور في مجلَّة البلقاء للبحوث والدراسات (جامعة عمَّان الأهلية)، العدد الثاني – المُجلَّد الأول، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٧٣. **مفاتيح الغيب، الشهير بـ(تفسير الفخر الرازي)، أو(التفسير الكبير):** فخر الدِّين الرازي (ت٦٠٦هـ)، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٧٤. **المفردات في غريب القرآن:** الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار القلم (دمشق)، والدار الشامية (بيروت)، ط٤، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

٧٥. **مقاييس اللغة:** أحمد بن فارس بن زكريا القزوينيُّ، الرَّازي (ت٣٩٥هـ)، تحقيق وضبط: عبد السَّلام هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٧٦. **مُقدِّمة التفسير:** الرَّاغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، المطبعة الجمالية (القاهرة)، ط١، ١٣٢٩هـ.

٧٧. **مُقدِّمة الصِّحاح:** الأُستاذ أحمد عبد الغفور عطَّار، تقديم: الأُستاذ عباس محمود العقَّاد، دار العلم للملايين (بيروت)، ط٢، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٧٨. **من بلاغة القرآن:** أحمد بدوي، بلا دار نشر (مصر)، ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م.

٧٩. **من قضايا اللغة العربية المُعاصِرة:** المُنظَّمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدُّول العربية، الأُستاذ محمد شوقي أمين (مُمثِّل المَجْمَع في هذه اللَّجنة)، د٣٨/ جـ١٦، (بلا تاريخ ولا مكان نشر).

٨٠. **مناهل العِرْفان في علوم القرآن:** محمد عبد العظيم الزُّرقاني (ت١٩٤٨م)، تحقيق: الشيخ سليم الكردي، دار إحياء التُّراث العربيّ (بيروت)، (ب. ت).

٨١. **منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث:** أ.د. علي عبد الحسين زويِّن، دار الشؤون الثقافية (بغداد)، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٨٢. **المُوافقات في أُصُول الشريعة:** أبو إسحاق الشاطبي (ت٧٩٠هـ)، تحقيق: أبي عُبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفَّان (القاهرة)، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٨٣. **النبأ العظيم (نظرات جديدة في القرآن الكريم)**: د. محمد بن عبد الله درَّاز (ت١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م)، عناية: أحمد مصطفى فضلية، تقديم: أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار القلم (الكويت)، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٨٤. **النحو والدلالة (مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي)**: د. محمد حماسة عبد اللطيف، بلا دار نشر (القاهرة)، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٨٥. **نظرية النقد وتطوُّرها إلى عصرنا**: د. مُحيي الدِّين صُبحي، ديوان المطبوعات الجامعية (وهران – الجزائر)، ط٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٨٦. **نظم الدُّرَر في تناسب الآيات والسُّور**: بُرهان الدِّين البقاعيّ (ت٨٨٥هـ)، مكتبة ٱبن تيمية (القاهرة)، ط١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٨٧. **النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السَّابع الهجريّ**: أ. د. نعمة رحيم العزَّاوي، دار الحرية (بغداد)، ط١، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٨٨. **النُّكت والعُيُون**: أبو الحسن الماوردي (ت٤٥٠هـ)، تحقيق: خضر محمد خضر، مطابع مقهوي (الكويت)، ط١، ١٩٨١م.